القاديانية
عرض وتحليل
للدكتور محمد إسماعيل الندوى
كتب إسلامية
العدد ١٠٩
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

كتب اسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهـــرة

القاديـانية

عرض وتحليل

للدكتور مُحَمَّد اسماعيل الندوي

يشرف على إصدارها
مُحَمَّد توفيق عويضة

الكتاب ١٠٩
السنة العاشرة
١٥ من ربيع الآخرة ١٣٩٠ هـ
الموافق ٢٠ من يونيو ١٩٧٠ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى

{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }

صدق الله العظيم

تقـــــديم

هذا أول كتاب منهجي يصدر عن القاديانية باللغة العربية يتضمن عرضاً كافياً وتحليلاً دقيقاً لها مع صغر حجمه. وبهذا يكون هذا الكتاب مدخلاً للدراسة الشاملة عن القاديانية يقوم بها طالب جماعي لإعداد الرسالة الجامعية في هذا الموضوع في المستقبل. لقد حاولنا الرجوع إلى كتب القادياني نفسها لمعرفة شخصيته وأفكاره ودعوته دون اعتماد كلي على كتب خصومه. ومما يؤسف له أننا لم نستطع أن نورد نصوص القادياني بالحرف في جميع الأحيان ، وذلك لأنه ألّف معظم كتبه باللغة العربية الركيكة ، الممتلئة بالأخطاء اللغوية والتعبيرات الهندية. وإذا كنا نقلنا نصوصه كما هي لكان من العسير على القراء العرب فهم تعبيراته الهندية. ولذلك حاولنا تصحيح بعض أخطاؤه اللغوية الشنيعة قدر الإمكان ، واستبدال بعض تعبيراته الهندية بالعربية الصحيحة وذلك بالإستعانة ببعض أصدقائنا العرب من أساتذة اللغة العربية. وكل ذلك دون مساس بروحكلامه وهدفه الأصلي. وما عدا ذلك لم نجر أي تعديل في نصوصه. وياحبذا لو كان القادياني قد ألّف كتبه جميعاً باللغة الأردية ، ولكنه للأسف لم يكن متقناً اللغة الأردية أيضاً. لأنه لم يكن يجيد إلا لهجته المحلية وهي البنجابية. وهذه هي كل بضاعته في اللغة والأدب. ومع ذلك يدعى هو وأتباعه أن كتبه آية في البلاغة العربية وإعجاز بيانها. فليعرف الأدباء العرب حقيقة هذه المزاعم من خلال قراءتهم لكتبه المبتورة في الأفكار والركيكة في الأسلوب ويصدروا حكمهم في هذا الصدد .

أرجو الله سبحانه أن يجعل هذا الكتاب فاتحة طيبة في مجال البحث في الفرق الإسلامية الشاذة في العالم الإسلامي المعاصر وبذل مزيد من الجهد والعناية في المستقبل ، ويشفي صدور الذين ابتلوا بالقاديانية والفرق الشاذة في المجتمعات الإسلامية الكبيرة الممتدة من المحيط إلى المحيط .

والله ولي التوفيق

ما هي القاديانية

هي في الحقيقة نتائج سلبية للتجربة الصوفية التي مارسها رجل صوفي مسلم وهو « مرزا غلام أحمد قادياني » المولود في سنة ١٨٣٩ م في بلدة قاديان في ولاية بنجاب في الهند الشمالية الغربية (تقع نصف هذه الولاية الآن في الهند والنصف الآخر في باكستان الغربية وعاصمتها لاهور) .
لقد تطورت هذه التجربة عنده على مرور الزمن واتخذت صبغة ديانة مستقلة في إطار الدين الإسلامي.
ومن هنا نشأ الخلاف : هل القاديانية فرقة من الفرق الإسلامية الكثيرة العديدة التي نشأت في الإسلام ؟ أو هي ديانة مستقلة تلوح فيها ملامح الإسلام بسبب إدانة بانيها بالإسلام في بادئ الأمر ، ولكنها في جوهرها تختلف عن إسلام محمد عليه السلام اختلافاً جذرياً ؟ وسوف ترد الصفحات الآتية من هذا الكتاب على هذا السؤال .

تسمي هذه الديانة بالأحمدية نسبة إلى اسم باني هذه الديانة ، وبالقاديانية نسبة إلى مسقط رأسه وهي بلدة « قاديان » .

متى ظهرت القاديانية ؟

ظهرت القاديانية ــ كما يدل تاريخ الميلاد لبانيها ــ في النصف الثاني من القرن التساع عشر الميلادي في الوقت الذي زادت محنة المسلمين مع جراء وطأة الإستعمار الإنجليزي الذي حاول قمع ثورة المسلمين ضده بأساليب وحشية بشعة وبأنواع من البطش والإرهاب ، وفرض سيطرته على الهند بيد من الحديد والنار. ومن المعروف أن الإستعمار الإنجليزي انتزع عرش الهند من المولك المغول المسلمين ، ولذلك كانت مقاومة المسلمين ضده أشد وأعنف. لأنهم كانوا أصحاب الحق وقد حكموا هذه البلاد قرابة تسعة قرون ، منذ الفتح الإسلامي لهذه البلاد في القرن التاسع الميلادي وظلوا يحكمون الهند إلى فشل الثورة الكبرى ضد الإنجليز ١٨٥٧ م .

والحقيقة أن سيطرة الإنجليز على الهند الإسلامية جاءت تحقيقاً لخطط الدول الصليبية الأوروبية التي كانت جادة في البحث عن الوسائل للإنتقام من هزيمتها في الحروب الصليبية مع المسلمين، وظلت تتربص بهم الدوار وترقبهم بالمرصاد. ثم صادف أن انهزمت هذه الدول على أيدي الأتراك العثمانيين في القسطنطينة ، الأمر الذي زاد من مرارتها ، وأذار غضبها وأشعل في نفوسها نيران الأنتقام . وفي ذلك جاء قول المؤرخ البريطاني الشهير (توينبي) : " وبعد فشل الأتراك أمام ابواب فينا عام ١٦٨٣م كان يجب أن يتم الهجوم المعاكس الغربي على العالم الإسلامي في يوم أو في آخر . ولكنه تأخر في الظهور بسبب الصورة التي كانت في مخيلة الغربيين عن شجاعة الأتراك المسلمين وبسالتهم العسكرية وقد أجاب العالم الغربي عن استيلاء الأتراك والأرثوذكسية الشرقية في القرنين الرابع والخامس عشر لتأمين سيادته على البحار لتطويق البلاد الإسلامية عوضاً عن مقابلتها وجهاً لوجه ، كما فعل خلال الحرب الصليبية التي كانت نتائجها وخيمة عليه . وفي طوافهم حول أفريقيا وصل البحارة البرتغاليون إلى الشواطئ الغربية الهند (١) " .

---

(١) انظر كتابه : العالم والغرب (ترجمة عربية) ص ٢٨

وكان البرتغاليون أول من وصل إلى الهند ، ثم تتابعت أمواج الفرنسيين والإنجليز . وبهذا تكون أهدافهم القضاء على الدولة الإسلامية في الهند لسيطرة العالم الغربي الصليبي عليها . ولقد أوردنا تفاصيل هذا التصادم في كتابنا (تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية) (١) .

وعلى الرغم من انهيار وسقوط الدولة الإسلامية في الهند لم يستسلم مسلموا الهند بسهولة للإنجليز ، بل قاوموا سيطرتهم بشتى الطرق والوسائل ، وبذلوا كل رخيص وغالٍ في هذا المضمار . وكم من الأبرياء منهم شنقوا وأعدموا ونفوا وشردوا ، ومع ذلك لم يهن المسلمون ولم يستكانوا ، بل صمدوا وناضلوا وأشعلوا نيران الثورة الكبرى في عام ١٨٥٧م ضد الإنجليز ، تلك التي باءت هي الأخرى بالفشل ، ومنذ لك الحين توطدت أركان الدولة البريطانية في الهند .

ولم تنطفئ شعلة الحماسة والإنتقام في نفوس المسلمين من جراء هزائهمهم المتلاحقة على أيدي الإنجليز ، بل اتخذت مقاومتهم أشكالاً وألواناً . لقد تكتل العلماء وصمموا على قضاء الحكم البريطاني وصارت مراكزهم الدينية وزواياهم وتكاياهم كلها مراكز للتدريب على شتى الأنواع لمقاومة الإنجليز واعداد المجاهدين لمحاربتهم قلماً وسيفاً .

ومن هنا لجأ الإنجليز أيضاً إلى اتخذا وسائل عديدة لضرب مواقع المسلمين واخماد حماستهم الدينية بالقوة والحيل والمكايد . وبوسائل القمع والإرهاب قتلوا آلافاً من العلماء الأبرار المجاهدين ونفوا عددا منهم إلى جزيرة مالطة والبحر الأسود ، وألغوا جميع المدارس الدينية والتكايا والزوايا التي ظلت منارة العلوم والمعارف طوال العصور الإسلامية ، وقضوا كذلك على موارد الإقتصاد للمسلمين التي كانت تشجع هذه الحركات وتمولها . ثم أنشئوا المدارس الحديثة والجامعات لتبيق النظم التربوية الحديثة التي كانت تستهدف اقتلاع جذور التربية الإسلامية الراسخة في قلوب المسلمين منذ تسعة قرون ، وإحلال التربية المسيحية الصليبية محلها . وأخيراً استغلوا الحركة القاديانية واستخدموها لتحقيق أغراضهم الصليبية وهي محاربة الإسلام في عقر داره ومن خلال عقائده وعلى أيدي أتباعه .

وحينما نلقي نظرة عابرة على خريطة العالم الإسلامي في هذه الفترة من الزمان، نجده هو الآخر يمر بنفس المحن ، لأن كلاً من الإستعمار الإنجليزي والفرنسي قد قسما البلاد العربية والإسلامية فيما بينهما ، وشاركهما الإستعمار البريطاني في احتلال ليبيا، والإستعمار الهولندي في الإستيلاء على جزر أندونيسيا ، والإستعمار البرتغالي في الإستيلاء على بعض أجزاء من الهند الغربية .

ولقد ظهرت حركات نضالية عديدة في العالم العربي والإسلامي لمقاومة الإستعمار الصليبي تستهدف القضاء عليه بالسيف وباعلان الجهاد ضده . كانت الوهابية أول دعوة في هذا المضمار ظهرت في الجزيرة العربية ، ثم الحركة السنوسية في ليبيا ، والمهدية في الجزيرة العربية . وفي نفس هذا العصر ظهرت حركة الجهاد أعلنها الإمامان الشهيد أحمد بن عرفان والشاة اسماعيل في الهند .

---

(١) طبع هذا الكتاب في دار الفتح ببيروت

لقد كانت الحركة الوهابية على الطراز البدوي وهي التي شنت الحملة الشعواء ـ بالإضافة إلى الجهاد ضد الإحتلال ـــ على كل بدعة وضلال وانحراف ، كما حاربت التصوف الإسلامي أيضاً محاربة شديدة بنفس القوة والحماس . وأما الحركات الأخرى في زي التصوف ولذلك تختلف ـــ على الرغم من إعلانها الجهاد ضد المستعمرين الصليبيين ـــ عن الوهابية من كل الوجوه .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تكشف التجارب الصوفية في كل من الهند وإيران عن ظهور نزعتين معاديتين للخط الإسلامي الصحيح ، وهما : القاديانية في الهند والبهائية في إيران كما سنذكرهما ونقارن بينهما فيما بعد . وهما اللتان استخدمها الإستعمار العالمي الصليبي لتحقيق بعض مآربه وتوطيد أركانه في بلاد الإسلام .

حول شخصية نبي القاديانية

حينما ولد مرزا غلام أحمد في سنة ١٨٣٩م في بنجاب كان الإنجليز قد استطاعوا التوغل في قلب الهند والإستيلاء على جزء كبير منها. ولكن بنجاب كانت في أيدي الملوك الإقطاعيين لطائفة السيخ ، وتعيش أواخر أيامها في ظل هؤلاء الملوك والطوائف ثم سقطت نهائياً على أيدي الإنجليز .

ينحدر القادياني أصلاً من سلالة المغول ، وهم فرع من فروع الأتراك ، من أبناء الملك الطاغي الشهير (تيمورلنك) . ومن أيدي الملوك المغول انترع الإنجليز عرش الدولة الإسلامية . وكان جده الأعلى ـــ وهو (مرزا غل محمد) ـــ من الإقطاعيين الكبار في ولاية بنجاب ـــ ولهذا صار موالياً للإنجليز والتاج البريطاني منذ بداية الإحتلال ، ولذلك نال كل فرد من عائلته الحب والعطف والرعاية والأجر السخي من الولاة الإنجليز كما صرح بذلك القادياني نفسه في عديد من كتبه . ثم صار والد القادياني موالياً للإنجليز وصديقهم الحميم ، وأبدى لهم خدمات جليلة في ثورة ١٨٥٧م ضد مواطنيه ، ومن هنا ازداد حب الإنجليز له وبعثوا إليه رسائل الشكر جزاء لخيانته ضد وطنه ومواطنيه . (١)

لقد تلقى القادياني تعليمه على الطريقة التقليدية ، وتعلم مبادئ اللغة العربية من الصرف والنحو ، ودرس العلوم الإسلامية التقليدية وفق النظم البالية السائدة في تلك الأونة مثل : المنطق والفسلفة والمناظرة والفقه الحنفي . وكذلك درس الطب على والده ، إذ أن والده كان طبيباً تقليدياً . ويبدو لنا من قراءة كتب القادياني أنه لم يعط قدراً كافياً من الذكاء والفهم والتيقظ ، ولذلك بذل مجهوداً كبيراً في سبيل اتمام دراسته التقليدية العقيمة في إحدى المدارس الدينية في بلدته ليتخرج عالماً دينياً .

---

(١) انظر : سيرة المهدي ٤٤/١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

وما أن أتم دراسته حتى التحق بالوظائف الرسمية للحكومة البريطانية ، مع أن الوظيفة في الحكومة إذ ذاك تعتبر خيانة عظمى ضد الوطن والمواطنين في الأوساط الإسلامية بسبب مقاطعة المسلمين لكل ما جاء به المسلمين من النظم السياسية والإدارية والتعليمية والتربوية. وكان يتقاضى من المرتب خمس عشرة روبية أي ما يساوي جنيهين مصرياً تقريباً . وظل في هذه الوظيفة قرابة سنتين أي منذ عام ١٨٦٤م إلى عام ١٨٦٦م . وفيما يبدو لنا أنه لم يقنع بهذه الوظيفة الصغيرة ومرتبه الزاهد ، ولذلك جرب حظه لأداء امتحان مدرسة الحقوق والقانون بعد تعلمه اللغة الإنجليزية ، ولكن الحظ لم يحالفه ، فسقط في الإمتحان ، ويئس من المستقبل وقدم الإستقالة من الوظيفة وشارك والده في المحاماة . ولقد أتيحت له في هذه الأونة ــ على حد قوله ــ مطالعة كتب عديدة في اللغة العربية في الحديث والفقه والتدبر في القرآن . (١)

أخلاقه وسلوكه في شبابه

لقد اتسم القادياني منذ حادثة سنة بالبساطة وقلة الذكاء والإستغراق الصوفي وتأملاته . ولم يكن يجيد معرفة الوقت من خلال رؤية الساعة ، كما لم يكن يحسن لبس الأحذية ، بل يبذل المجهود الشاق في تمييز الأيسر والأيمن منها . وكذلك لم يكن يعتني بالنظافة والأناقة . وحتى طريقة دخوله وخروجه من الحمام تثير الضحك للمشاهدين . (٢)

وهذه الإمور كلها تشير إلى أنه خلق شاذاً وطبع على التأملات الصوفية منذ حادثة سنة تلك التي نمت وتجلت في مظاهر جديدة فيما بعد على الرغم من قراءته ومطالعته الكتب في شتى العلوم والمعارف .

حالته الإجتماعية

لقد تزوج القادياني مرتين الأولى في عام ١٨٥٢م أو ١٨٥٣م ، وأنجب من هذه السيدة الأولى ولدين هما : (مرزا سلطان أحمد ، ومزرا فضل أحمد) ، ولكنه لم يوفق مع هذه السيدة فطلقها في عام ١٨٩١م ، ثم تزوج ثانية في دلهي في عام ١٨٨٤م ، وهي التي لقبها أتباعه بأم المؤمنين ومنها أنجب أبناءه المشهورين وهم : (مزرا بشير الدين أحمد) مؤلف كتاب " سيرة المهدي " ، و (مرزا شريف أحمد) .

---

(١) انظر : سيرة المهدي ٤٤/١ ، ١٥٦

(٢) نفس المصدر ١٨٠/١ ، ١٦٧

جهاده ضد الحركات التبشيرية في مستهل حياته العلمية

وعلى الرغم من موالاته للحكومة البريطانية ، أغرم القادياني بدراسة كتب الملل والنحل ، والمناظرة والمجادلة . لقد اشتهر عصره بالمناظرة مع القسيسين والرهبان وزعماء الحركات التجديدية الهندوكية مثل آرية سماج . وبرز في هذا الميدان عدد كبير من العلماء المجاهدين . لقد سجل القادياني اسمه مع كبار المناظرين ضد المبشرين ، واثبت تفوقه وطول باعه في هذا الميدان كما يتعرف بذلك الجميع حتى خصومه .

ومن المعروف أن الحركات التبشيرية المسيحية قد تسلحت بأسلحة علمية حديثة منذ ظهور النهضة الفكرية والعلمية في أوروبا . واستفادت كثيراً من البحوث العلمية الحديثة في علوم التربية والنفس والمجتمع والإدارة والتنظيم ، وتوصلت إلى إيجاد أساليب جديدة للتبشير مسلحة ومجهزة بأحدث الأسلحة العلمية . قد وضعت حركة التبشير نصب عينيها كسر شوكة الإسلام بشتى الطرق والوسائل ، إذ أن الإسلام وقف سداً منيعاً أمام انتشار المسيحية ، بل أذاق المسيحية الأوربية هزائم منكرة في كل المواقع فيا لحروب الصليبية. ومن هنا قررت بل أخذت على نفسها عهداً بتمزيق صفوف المسلمين في الدرجة الأولى ، وإيجاد تصدع عميق فيها لتنفذ من خلاله إلى قلوب المسلمين لزعزعة عقائدهم واستدراجهم إلى الفكر الصليبي الحديث المعروض في زي براق من المدينة الحديثة ، ودست كل سمومها في نظمها التربوية في المدارس والجامعات ومراكز البحوث . ولتحقيق هذه الأهداف أنشأت الحكومة البريطانية قسم الدراسات الشرقية في الجامعات التي أنشأتها في أنحاء الهند ، وبصفة خاصة في كلية فورت وليم بمدينة كلكتا التي لعبت دوراً هاماً ــ بالإضافة إلى أهدافها الأساسية للنيل من الإسلام ــ في زرع ألغام الخلافات الفكرية والثقافية في قلوب الهندوس والتي انفجرت فيما بعد ونسفت العلاقات الودية الراسخة القائمة بين الهندوس والمسلمين على مدى تسعة قرون .

وتنفيذاً لهذه الخطط الإستعمارية الصليبية تلك التي وضعت في أوربا للقضاء على الإسلام في الهند أو على الأقل إيجاد ثغرات في عقيدته الغراء ، تدفقت على الهند أمواج هائلة من المبشرين الذين تحمسوا لنشر المسيحية بين الهندوس وبصفة خاصة بين صفوف المنبوذين منهم بوسائل الإغراء بالمال والوظائف الرسمية والحسناوات . ثم اتجهوا إلى المسلمين لإيجاد الفرقة في صفوفهم وغرس خلافات مذهبية فيما بينهم وزرع ألغام ناسفة عن طريق مناهج التعليم والتربية المقررة في المدارس والجامعات لنسف عقيدة الإسلام ، كما تصدوا كذلك لإضعاف شأن الإسلام عن طريق المناظرة والمجادلة وفق أساليبهم الحديثة .

وعلى الرغم من أن العلماء المسلمين المحافظين لم يتدربوا على أساليب المناظرة الحديثة مع الطوائف المسيحية الأوربية ولم يكونوا ملمين بأسرار ديانتهم وتحريفات كتبهم المقدسة ، ألا أنهم استطاعوا توجيه هزائم منكرة لهؤلاء المبشرين ، وبرز من بين صفوف المسلمين مجاهدين أبطال في هذا المضمار وكان على رأسهم الشيخ رحمه الله الكيرانوي ، ذلك العالم المناظر الفذ الذي ألحق

بالمبشرين شر الخزائم وسجل منظاراته معهم في كتابه العظيم (إظهار الحق) ذلك الذي نال شهرة كبرى في البلاد العربية أيضاً ، وطبع فيها مراراً وآخرها في المملكة المغربية بتحقيق من الأستاذ عم الدسوقي ــ الأستاذ بجامعة القاهرة ــ ذلك الذي قال في تقديمه لهذا الكتاب :

" ولم يجد المبشرون الإنجليز بدا من التهجم على ذلك الدين الذي يقف عقبة كأداء في سبيل إتمام غزوهم الثقافي والعقائدي وتطاولوا عليه زوراً وبهتاناً ، خداعاً للعامة ، وتمويها عليهم بأن في الإسلام ضعفاً ، وأنه لا يثبت أمام ديانتهم ، وأن دينهم هو الحق " .

ومن أهم المسائل التي خاضوا فيها وتهجموا بها على الإسلام خمس وسائل ، هي قولهم : أن دعوى القرآن بأن التوراة والإنجيل تحريفاً ، وأن اليهود والنصاري حرفوا الكلم عن موضعه دعوى باطلة .

وقولهم : بأن بعض آيات القرآن منسوخة ، وأن النسخ دليل على أن القرآن ليس من عند الله ، لأن أحكامه بهذا قابلة للتبديل والتعديل .

وقولهم بأن الله ثلاثة : الأب والإبن والروح القدس . والإسلام يدين بوحدانية الله ومحاولتهم البرهنة على عقيدة التثليث ، ومن ثم التهجم على عقيدة التوحيد .

ثم ادعائهم بأن القرآن كلام محمد عليه السلامم ، وليس كلام الله المنزل ، وتشكيكهم في طريقة جمعه وتواتره ، وأخيراً إنكارهم نبوة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء .

وكانت هذه المسائل الخمس مثار جدل كبير بينهم وبين علماء الإسلام ، ولم يكتفوا بالطعن الشفوي ، ومحاولة التلبيس على العامة بترهاتهم ، بل ألفوا في ذلك كتباً ورسائل يطعنون فيها الدين الإسلامي ويرمونه بكل نقيصة ، ويجرحون نبي الإسلام ويسبونه بأشنع أنواع السباب .

وكان من أجرئهم (القسيس فندر) الي كان يعد نفسه أبرعهم وأقدرهم على التكلم بالعربية والفارسية وأخذوا ينشرون أباطيلهم في الأسواق والمجتمعات والشوارع ، ويعقدون لذلك الندوات .

ولما استفحل أمرهم ، وكثر شرهم ، وخشى المسلمون الفتنة انتدب مؤلف هذا الكتاب للرد على مفترياتهم ، فألف بعض الرسائل ، بعضها باللغة الأوردية، وبعضها بالفارسية ، ودعا (القسيس فندر) إلى مناظرته في محفل مشهود ، ومجلس عام. وبعد تردد وتمنع من هذا القسيس تم الإتفاق على أن تقع المناظرة بينهم في المسائل الخمس المذكورة .

وأخيراً عقدت المناظرة بحضور القضاة والمفتين وكبار رجال الدولة الإنجليزية ، وكتاب دواوينهم بالهند وجمهور كبيرة سواهم في بلدة (أكبر آباد) في شهر رجب سنة ١٢٧٠م .

وكان يعاون القسيس فندر ، قسيس آخر اسمه (فرنج) ويعاون السيد رحمه الله بن خليل الرحمن مؤلف هذا الكتاب السيد محمد وزيرخان .

وابتدت المناظرة في مسألة النسخ والتحريف ، فظهر تفوق السيد رحمه الله وتخاذل القسيس فندر ومعاونه أمام الحاضرين ولم يجد القسيس بدا من الإمتناع عن إتمام المناظرة في المسائل الثلاث الأخرى

وهذه المسائل الخمس هي التي جادل فيها المبشرين العلماء المسلمين ، وبرز العلماء في جميع المناظرات مع المبشرين أمثال الشيخ رحمه الله هذا ، والشيخ محم قاسم النانتوي ــ منشى مدرسة ديوبند ــ والشيخ محمد علي المونكيري ــ أحد بناة مدرسة ندوة العلماء . وكذلك تصدى هؤلاء لمناظرة الفرقة الهندوكية المسماة (آرية سماج) في المسائل الهامة عن الإسلام والهندوكية .

وأن مرزا غلام أحمد القادياني هو الآخر تصدى لمناظرة هذؤلاء جميعاً ، وأحرز عليهم نصراً كبيراً كما قلنا آنفاً. وهذه الظاهرة تدل بوضوح على أنه كان متمكناً في الديانات العالمية مثل اليهودية والمسيحية والهندوكية والبوذية، وأتقن مجادلة قساوسة هذه الأديان المشهورين في أمور دينهم الأساسية ، وكل ذلك من أجل نصرة الإسلام وإعلاء شأنه. وهذه الخبرات والمعلومات هي التي صارت فيما بعد أرضاً خلفية لظهور الديانة القاديانية كما سنتحدث عنها فيما بعد .

لقد سجل القادياني في كتابه (مكتوب أحمد) انتقاداته وملاحظاته على الديانة الهندوكية وأظهر النقص والعيب الموجودة في هذه الديانة ، وبين أخطاء كتاب (ألفيدا) الهندوكي الشهير ، وسخر بعقيدته التناسخ الهندوكية (١) ، الأمر الذي يدل على أنه اطلع على عقيدتي التناسخ والتقمس اللتان تعتبران أساس الديانة الهندوكية حتى هذه اللحظة .

---

(١) انظر : مكتوب احمد ص ٢٩

رد فعل تجاربه الصوفية وتمكنه
في الدراسات المقارنة للأديان

لقد قلنا : أن القادياني طبع على الموهبة الصوفية ، ومارس التجارب الصوفية ، واستغرق في التأملات الصوفية في إحدى الزوايا دون اهتمام أو اكتراث بشئونه الشخصية . ثم جادل المبشرين والقساوسة الهندوس ، وأظهر تفوقه عليهم . ولكنه في نفس الوقت لم يعط قسطاً كبيراً من الذكاء والفهم . وهذه الظواهر كلها قد تمخضت فيه عن تغلب النزعة الصوفية المتمثلة في نظرية وحدة الوجود، وهي مرحلة خطيرة من التجارب الصوفية يشعر فيها السالك الصوفي أن ذاته قد اندمجت في ذات الله سبحانه أو اتحدث معها . وهذه النظرية هندوكية أصيلة كما سنتحدث فيما بعد .

ومن جراء هذه الأحداث طرأت عليه تطورات خطيرة للغاية ، منها شعوره بأنه انسان غير عادي ، وأصبح على صلة وثيقة مع الله نتيجة لرياضته الصوفية الشاقة ، وأن الله يلهمه ويكشف عليه أمور غيبية كثيرة ، وبعثه لهداية البشرية جمعاء . شأنه في ذلك شأن كبير من المتصوفين الذين تاهوا في وديان التصوف الحالكة من جراء الرياضات الصوفية ، وانخدعوا ببعض الأمور التي انكشف عليهم نتيجة لها ، واعتبروا أنفسهم مهديين . وإلى ذلك يشير كلمه الصادر في بداية الامر ، كما أورده على لسان الله سبحانه ــ معاذ الله ــ بأنه خاطبه في شهر مارس ١٨٨٢م :
" يا أحمد ، بارك الله فيك . وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . الرحمن علم القرآن ، لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم ، ولتستبين سبيل المجريمن . قل : إني أمرت وأنا أول المؤمنين . قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . كل بركة من محمد ﷺ . فتبارك من علم وتعلم . قل : إن افتريته فعلي إجرامي . وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . لا مبدل لكلمات الله . ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . إنا كفيناك المستهزءين ، يقولون : أنى لك هذا ؟ إن هذا إلا قول البشر . وأعانه عليه قوم آخرون . أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . هيهات هيهات لما توعدون . أم من هذا الذي هو مهين . ولا يكاد يبين . جاهل ومجنون . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . هذا من رحمه ربك . ويتم نعمته عليك : ولتكون آية للمؤمنين . إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... إني رافعك إلي ، وألقيت عليك محبة مني لا إله إلا الله ، فاكتب وليطبع ، وليرسل في الأرض " (١) .

ثم زعم أن الله ألهمه وكلفه بالقيام بمهمة الجهاد العلمي ضد الحركات التبشيرية والطوائف الهندوكية المذكورة . وفي ذلك جاء قوله : " لقد كلفني الله الإصلاح بمسكنة وتواضع وفقر وتذلل على طريقة النبي الناصري الإسرائيلي (يعني به المسيح) . وقد ألفت لهذا الغرض كتاب (براهين أحمدية) الذي ظهرت منه ٣٧ ملزمة . وقد بشرني الله : أن كل من يقرأ هذه الرسالة الموجهة إليه ثم لا يقر بالحق ، يكتب له الهزيمة والخذلان " (٢) .

---

(١) القادياني والقاديانية للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص ٣١ نقلاً عن براهين أحمدية
(٢) نفس المصدر السابق

ومن الجدير بالذكر أن الإلهام الأول إليه على حد قوله لم يكن إلا اقتباسات من القرآن الكريم ، إذا شحن كلماته وآياته في جمل وعبارات خاصة له دون ربط أو نسق، وتركها في تناقضات واضطرابات وفوضى فكرية لا نجد لها نظيراً لدى أي مؤلف صوفي من نظرائه. وكل هذا يدل على أنه فقد صوابه في هذه المرحلة من تجاربه الصوفية اليوجية وطرأ على عقله خلل محسوس ، وأخذت قوة البيانة إلى الإنخفاض تلك التي مكنته من قبل من مناظرة المبشرين المسيحيين. وإحراز التفوق عليهم . وهكذا يفقد الصواب كل من انغمس في التجارب الصوفية الرامية إلى وحدة الوجود أو اليوجية الهندوكية إلى أخمص قدميه .

لقد جمع القادياني كل ادعاءاته في كتاب سماه (براهين أحمدية) ونشره وبعث بنسخة منه إلى جميع الأعيان من العلماء المسلمين والقساوسة النصارى والهندوس ، وزعم في رسالة مطبوعة أرفقها إلى هؤلاء : أنه مكلف من الله سبحانه وتعالى بإقامة حجة الله ، وأعرب فيها عن استعداده لإقناع الجميع وإزالة شكوكهم . ووجه دعوة خاصة إلى بعضهم للقدوم إلى دولته (قاديان) لمرافقته لكي يستطيعوا مشاهدة معجزاته وآياته وخوارقه التي أنعم بها عليه لإثبات دعواه . ثم تتابع ظهور ثلاث مجلدات من هذا الكتاب تتضمن انطباعاته وتجاربه الصوفية ونتائجها التي سماها الوحي والإلهام . ونسبها إلى الله سبحانه وتعالى وحسب أنه مكلف من الله .

ولقد زعم في المجلد الرابع من هذا الكتاب أنه يشتمل على ما أوحى الله إليه ــ على حد زعمه ــ باللغتين الأردية والإنجليزية . وإليكم نموذج مما جاء في هذا الكتاب : " وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون .. ألخ . ومما يلاحظ على هذا الكتاب :

١- أنه استكثر فيه من دعواه على أن الوحي مستمر عليه ، واعتبره البقية الباقية من آثار الأنبياء والرسل ، وزعم أنه من لدن عزيزي حميد ، وادعى أنه حصل على نور اليقين والعلم القاطع من الله سبحانه وتعالى وكلفه الله بمهمة إصلاح العالم ودعوة الناس إلى الإسلام بوصفه مجدداً لهذا الدين ، وأنه يرى في نفسه خصائص ومميزات تشبه ما وجد في المسيح عليه السلام .
٢- سجل فيه إقراره بأن المسيح قد رفعه الله إليه ، وأنه سوف يعود إلى هذه الدنيا .

٣- صرح فيه بوضوح أن الله قد وعد بصيانة الإسلام وحفظه ، وليس له أو لأي أحد حق النسخ أو التصرف فيه . أن الكتب الأخرى الموجودة على وجه هذه الأرض لا تتمتع بمثل هذه الضمانات من الله ومن هنا أصبح الإسلام خطراً مهدداً جميع الأديان في العالم ، ولم يكن من الصعوبة أبداً أن تذوب هذه الأديان في الإسلام وتنحل فيه . (١)

لقد أثار كتابه (براهين أحمدية) ضجة كبرى بين أوساط المسلمين في ولاية بنجاب التي عاشت في الخرافات والأوهام ردحاً طويلاً من الزمن كما صرح بذلك واحد من أبناء هذه الولاية البارزين وهو الشاعر الفيلسوف (محمد) كما سنورد مقتطفات من آرائه عن القاديانية فيما بعد .

---

(١) براهين أحمدية ٨٥/٥ ، ١١٠/٢ ــ ١١١ ، وسيرة المهدي ٣٩/١

كانت الولاية في معزل عن مراكز الثقافة الإسلامية في الهند ، ولذلك شغف مسلموا هذه الولاية بأنواع من الخرافات والأوهام التي نسجها المتصوفون الومبتدعون والمخرفون لتحقيق مآربهم الشخصية على حساب مسلمي هذه الولاية . ومن أجل ذلك بادر المسلمون البسطاء فيها إلى الإستجابة لدعوة القادياني والإعجاب بها واعتناقها . ولم تزل هذه الولاية تشكل الأغلبية لمعتنقي القاديانية بالنسبة إلى الأقطار الأخرى في باكستان .

التطورات في حياة القادياني

بعد حدوث التطور المفاجئ المذكور في حياة القادياني من جراء التجارب الصوفية واحساسه الخاطئ أن الله أرسله هادياً ومهدياً ومجدداً ، قد حدث كذلك تغيير في حياته الشخصية. لقد اعتاد القادياني في مستهل حياته ــ منذ أن كان موظفاً صغيراً ــ العيش البسيط ، والعزلة والمعاناة من قلة الموارد والزاد ، واصهاج حياة التقشف . ولكن التكطور المفاجئ في حياته واتجاهاته قد أحدث تغييراً هائلاً في حياته الشخصية وسلوكه الفردي . لأنه لم يبق الآن رجلاً منعزلاً متقشفاً زاهداً بسيطاً في حياته بل صار طامحاً إلى حياة يقدسه الناس فيها ويقبلون عليه ويعجبون به ويقبلون يده ويسيرون وراءه كالمواشي . وبهذا ازدادت أنصاره بين أهالي بنجاب ، وتحولت حياته إلى شبه الحياة الكسروية .

يبدو أنه واصل في شطر من هذه الحياة جهادية ضد جماعة الآرية سماج الهندوكية المذكورة وناظرها . وقد جرت أهم مناظراته مع زعيم هذه الطائفة آنذاك وهو (مردلي ظهر) في عام ١٨٨٦م. جمع هذه المناظرة كتاب سماه (سرمة جشم آريا) أي (كحل الآرية).وقد أرود البحث في هذا الكتاب عن معجزة شق القمر للرسول عليه السلام، وحاول اثباتها على ضوء العقل والنقل، ودافع عن الرسول دافاعاً مرايراً ، وحاول رد كيد المعاندين وتفنيد مزاعمهم بشتى الأساليب والأدلة ، وأثبت بكل قوة أن المعجزات والخوارق ليست مستحيلة الوقوع في هذا الكون ، بل أنها متوقعة في كل وقت . ويرجع إنكار الإنسان لهذه الظواهر الشاذة إلى علمه المحدود وتفكيره الضيق وعدم إحاطته بجميع النواحي أثناء تفكيره أو تخييله للأشياء . ولذلك يجوز جداً ألا يدرك الإنسان أموراً كثيرة لا تدخل في إطاره الفكري ، ومن هنا لا يصح أبداً إنكار مالا يعرفه الإنسان ولا يدركه بحال . وأن المعجزات والخوارق كلها تدخل في هذا الإطار .

ومن الجدير بالذكر أن العلماء المسلمين في ذلك الوقت لم يعارضوا القادياني مع أنه بدرت منه أمور كثيرة تستوجب النقد والإستنكار . والسبب في ذلك أن العلماء قدروا جهوده في الدفاع عن الإسلام ومجادلته مع المبشرين وطائفة الآية سماج . وظنوا ان مزاعمه كلها فيما يتعلق بالإلهام والوحي إنما هي نوبات تنتاب بعض المتصوفين أثناء رياضتهم الصوفية الشاقة. وحسبوا أنه حينما يعود إليه صوابه وتهدأ أعصابة ترجع الأمور كلها إلى نصابها .

ومن المعروف أن الهند أرض خصبة أصيلة للتصوف . لقد ظهرت المذاهب الصوفية في الهند ولاسيما نظرية وحدة الوجود والرياضيات الصوفية الشاقة من خلال كتاب (اليوبانيشاد) الذي ظهر قبل الميلاد بقرون .

ومن الهند أخذت هذه النظريات طريقها إلى مدرسة الأفلاطونية الحديثة في الأسكندرية . (١)

وأن المزاج الصوفي وتأملاته والإنطلاق في البحث عما وراء الوجدان مما طبع عليه الهنود منذ العصور الغابرة . أن الموجات الثانية من الإسلام قد حملها إلى الهند المتصوفون المسلمون من بلاد فارس (٢) . فامتزج في الهند التصوف الإسلامي بالتصوف الهندي الأصيل ، ثم تغلغل في نفوس المسلمون الهنود وتأصل إلى أقصى الأعماق . ومن هنا باءت بالفشل كل الدعوات التي قام بها بعض المسلمين ضد التصوف فيها ، ومن أهمها الحركة الوهابية التي حمل لواءها طائفة أهل الحديث ، وحركة الشيخ أبي الأعلى المودودي في الأونة الأخيرة التي لاقت ضربات قاسية من قبل المتصوفين وفشلت تماماً في كسب الشعبية لها من بين جماهير المسلمين في الهند وباكستان .

ومما يسترعي انتباهنا في هذا الصدد أن الشيخ أبا الحسن علي الندوي ذلك الذي ألف كتابه (القادياني والقاديانية) باللغة العربية لم يثر ناحية التصوف في حياة القادياني مطلقاً ، وذلك لأنه هو الآخر من رجال التصوف ، كما أنه لم يجترئ على نقد التصوف ولو كان على سبيل الحق خشية النقاد الأحرار الذين يحاولون المساس بالتصوف مقتفين آثاره .

ومن ناحية أخرى فان النزعة المهدية التي ادعاها القادياني لم تكن طريقة في تاريخ المسلمين . ولقد سبقه في هذا المجال عدد من الصوفية في العالم الإسلامي وفي الهند على السواء .

ولقد سبق القادياني في الهند بالذات السيد محمد الجونبوري (٨٤٧ ــ ٩١٠هـ / ١٤١٣ ــ ١٥٠٤) ذلك الذي تبحر في العلوم الدينية في مستهل حياته وواصل الجهاد ضد الكفار والمشركين ، وشارك مع السلطان حسين الشرقي في الفتوحات الإسلامية . وفي نفس الوقت مارس الرياضات الصوفية وتوغل فيها إلى الإعماق ، حتى ظهرت منه الخوارق والكرامات على حد مزاعم المعجبيت به ، وادعى يوماً من الأيام أنه رأى الله سبحانه وتعالى بعينه المجردة ، مما أدي إلى مبادرة بعض العلماء الغيورين على الإسلام إلى تكفيره وإصدار حكم الإعدام ضده . وكلن بعض الآخر من العلماء حال دون تنفيذ قرار الإعدام وساعده على الفرار من قبضة العلماء إلى مدينة أخرى . ثم ادعى هذا الرجل في عام ٩٠١هـ أنه هو المهدي الموعود وكلف من الله سبحانه بهداية البشرية . وقد التف حوله آلاف من المسلمين الجهلاء معجبين به ومسلمين إليه زمامهم ، حتى دعا الأمر مرة أخرى إلى إصدار حكم الإعدام عليه من قبل العلماء نظراً لخطورة الموقف بعد استفحال الفتنة التي أثارها بين صفوف المسلمين،والأباطيل التي آمن بها ودعا إليها الناس . ولكنه لم يتمكن من الفرار هذه المرة من قبضة الأبرار بل قتل في عام ٩١٠هـ . ولكن الفتنة التي أشعل نيرانها لم تخمد من جراء موته ، بل التهبت وهاجت على أيدي أتباعه الذين آمنوا بيه وقدسوه ووضعوه فوق القمة أيماناً منهم بأنه كان المهدي الموعود بالحق . يرى المؤرخون أن هذه الجماعة أصبحت فيما بعد قليلة شاذة في المجتمع الإسلامي الهندي ، وشابهت القرامطة في أمور كثيرة ولكنها في نفس الوقت آمنت بالجهاد ضد الكفار والمشركين واشتركت في مهمات عسكرية كثيرة واصلها الملوك المسلمون . (٣)

---

(١) انظر للتفصيل كتابنا (الهند القديمة حضارتها وديانتها) المطبوع في مؤسسة دار الشعب بالقاهرة .
(٢) انظر كتابنا (تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية) المطبوع بدار الفتح ببيروت
(٣) انظر للتفصيل : تاريخ محمد طاهر الفتني للأستاذ أبو ظفر الندوي (باللغة الأردية)

وهكذا لعب التصوف الإسلامي دوراً كبيراً في زرع عقيدة المهدي الموعود والحي والإلهامات الزائفة في قلوب المسلمين وحملهم على الخرافات والأوهام مثل كرامات الأولياء والخوارق ، تلك الظواهر الشاذة التي لم يزل يمارسها اليوجيون الهندوس في كهوفهم وأديارهم على الجبال والغابات . ولم تزل تظهر على أيديهم خوارق وكرامات نتيجة لرياضاتهم وإتقانهم أعمال اسحر والشعوذة والتنويم المغناطيسي وما إلى ذلك .

ومما يدل على عمق تأثير التصوف في قلوب المسلمين أن الإمام الشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ ــ ١١٧٦هـ / ١٧٠٣ ــ ١٧٦٢م) ــ ذلك الذي يحتل مكانة كبرى في مجال السنة والشريعة بفضل كتبه العظيمة ، ولاسيما بسبب كتابه العظيم (حجة الله البالغة) وهو الآخرآمن به ومارسه ودافع عنه وترك فيه مؤلفات تعبر عن تجاربه الشخصية وانطباعاته الذاتية في هذا الميدان تلك التي يعسر علينا فهمها ، ويدهشنا كلامه الآتي في نصرة التصوف والدعوة إليه :

١- ليس منا من لم يتدبر كتاب الله ولم يتفهم حديث نبيه ﷺ . وليس منا من ترك ملازمة العلماء ن أعنى الصوفية الذين لهم حظ من الكتاب والسنة ، أو الراسخين في العلم الذين لهم حظ من التصوف أو المحدثين الذين لهم حظ من الفقه ، أو الفقهاء الذين لهم حظ من الحديث . أما الجهال من الصوفية والجاحدين للتصوف فأولئك قطاع الطرق ، ولصوص الدين فإياك وإياهم .. (١)

٢- (رأيت نفسي في المنام قائم الزمان) ــ بقصد به أن الله سبحانه لو أراد أن يكون الدهلوي مقيم الشريعة الإسلامية وحامل لواء التجديد ومجدد الملة في عصره .

٣- ومن نعم الله عليّ ــ ولا فخر ــ أن جعلني ناطق هذه الدورة (أي الزمن) وحكيمها ، وقائد الطبقة وزعيمها . (٢)

وهكذا سار الإمام الدهلوي على درب العلماء الهنود في الإعجاب بالتصوف والخوص في بحار تجاربه ورياضاته . ثم سلك طريق الدهلوي كل العلماء اليهود عدا أولئك الذين يسمون أنفسهم بأهل الحديث أو الوهابين ولكنهم قليلون في موج سكان الهند الكبرى (أي الهند وباكستان) . في هذه اللحظة أصبح كل من التصوف والمذهب الحنفي شعار مسلمي الهند الكبرى ودئارهم . وكل صوت يسمع في هذا البلد عدا الصوت الصدار ضد التصوف والتقليد لمذهب أبي حنيفة . ومن هنا كتب الفشل لدعوة الشيخ أبي الأعلى المودودي التي ارتفع صوتها ضد التصوف والتقليد في بادئ الأمر .

وفيما يتعلق بالقاديانية فإن مزاعمه بأنه هو المهدي الموعود ، أو أنه مجدد كلفه الله بالقيام بأمر التجديد في الإسلام لم يكن جديداً في أوساط المجتمع الإسلامي ، إذ أنه سبقت دعوات عديدة فيه من هذ النوع. ومن هنا لم يبادر العلماء إلى معارضته والنكير عليه ومهاجمته أو تكفيره . بل تركوه في شأنه ، لأنه ــ لأنه على الرغم من كل هذه المزاعم ــ يقوم بجهاد ضد المبشرين والطايفة الهندوكية المسماة بالآرية سماج .

---

(١) التفهيمات الإلهية ٢٠٢/٢ .
(٢) نفس المصدر السابق

التطور الثاني في مزاعم القادياني

لقد كان التطور الأول في القادياني ــ كما ذكرنا ــ أنه المجدد أو المهدي كلفه الله بالقيام بمهمة التجديد في الإسلام ، وأن الله يلهمه ويبشره في لغات عديدة : العربية والفارسية والأردية والإنجليزية ، وسجل كل ما أوحى إليه ــ على حد زعمه ــ في كتابه (براهين أحمدية) ، الذي صدر في خمسة أجزاء، وقد ظل على هذه الدعوى حتى عام ١٨٩١م. ثم طرأ عنصر مفاجئ في حياته الفكرية والتأملية

ومن الجدير بالذكر أنه قد كثر اتباعه ومريدوه في ولاية بنجاب المتخلفة ديناً في تلك الأونة ، وذاد تقديسهم أو اعجابهم به إلى أقصى الحدود . وبهذا يقدس كل زعيم صوفي في الهند الكبرى في كل العصور ، تلك الظاهرة المدشة التي لا نجد لها تشابهاً في البلاد العربية موطن الإسلام الأول وهذا الأمر يتجلى بوضوح في رسالة بعث بعث بها رجل من مريديه يسمى (الحكيم نور الدين) سأله فيها : " ما المانع من أن يكون قداستكم مثيل المسيح أو شبيهه ؟ ولماذا لا يدعى بذلك ، لأنه قد جاء في كتب الآثار أن المسيح سوف ينزل في دمشق . وأي ضرر سيلحق بالإسلام إذا كان ظهوره في الهند ؟ فقد رد عليه القادياني في رسالته إليه قائلاً : فليعلم الأستاذ الكريم ، ان هذا العاجز الحقير (يقصد نفسه) ليس في حاجة أن يكون مثيلاً للمسيح ولا شبيهاً له. لأن كل هدفي وهمي في حياتي أن يدخلني الله في عباده المخلصين المطيعين المتواضعين " (١)

يبدو لنا من خلال دراستنا لحياة القادياني النفسية أنه ــ على الرغم من امتناعه عما دعا إليه مريده ــ فقد ساورت الشكوك نفسه في هذا الشأن وأعاد التفكير فيه ، ثم خدعته تجاربه الصوفية على ضوء نظرية الوجود ، فانكشف عنه كما ينكشف على كثير من اليوجيين أنه فعلاً فوق جميع البشرية وأنه شبيه بالمسيح ومثيل له . ومن هنا أعلم في عام ١٨٩١م أو ١٨٩٢م أن الله بعثه مثيلاً للمسيح وشبيهاً له في رسالته . لقد كرر هذه الدعوة مرات عديدة حتى عام ١٨٩٦م . ولقد ألف خلال هذه الفترة كتباً عديدة مثل : فتحا لإسلام ، وتوضيح المرام ، وإزالة الأوهام وأورده فيها ادعائه الجديد .

وفي كتاب (مكتوب أحمد إلى العلماء) الذي صدر لأول مرة في عام ١٨٩٦م ذكر فيه بصراحة بأنه مجدد ويحمل مزايا المسيح وصفاته . وإليكم بعض ما جاء في هذا الكتاب :

١- أن الله قد بعثني مجدداً على رأس هذه المائة وجعلني عبداً مخصوصاً له للقيام بأعمال المصالح العامة ، وأعطاني علوماً ومعارف تستوجب إصلاح هذه الأمة ، ووهب لي من لدنه علماً حياً لإتمام الحجة على الكفرة الفجرة ، وأعطاني ثماراً غضة طرية لتغذية جياع الأمة ، وكأساً دهاقاً لسقي عطاش الهداية والمعرفة ، وجعلني إماماً لكل من يريد صلاح نفسه ، ويحب مرضاة ربه، وجعلني من المكلمين الملهمين .

---

(١) مكتوبات أحمد ٨٥/٥

وأكمل على نعمه وأتم فضله ، وسماني المسيح بن مريم بفضله ورحمته ، وقدر بيني وبينه تشابه الفطرة كالجوهرين من المادة الواحدة ، ووهب لي علوماً مقدسة نقية ، ومعارف صفية جلية ، وأعلمني ما لم يعلم غيريمن المعاصرين ، وصب في قلبي ما لم يحيطوا به علماً ونوراً لم يمسه أحمد منهم وجعلني من المنعمين . (١)

٢- فذلك خاتم رب العالمين ، وفيه إشارة إلى أنه جعلني لهذه الملة مجدد الدين . ولا يقبل العقل السليم أن يصمت الله الغيور عند هذه الفتن العظيمة حتى لا يبعث مجدداً على رأس هذه المائة.أتطمئن قلوبكم بأن يرى الله هذه البلايا تنزل على الامة الضعيفة ؟ ثم لا يتوجه إلى دفعها ولا لإزالها عند كمال هذا البلاء ؟ وتسب ذراري الشيطان أولياء الرحمن فرحين مطمئنين . ألا تنظرون : كيف بلغت غشاوة الجهل متنهاه ؟ وكيف نسيت كل نفس عقباها ؟ إلا التي حفظها الله وحماها . ألا تشاهدون كيف زادت الملل الضالة طغواها ؟ ووقع الفتور في سفينة الحق ومجراها ومرساها ؟ ألا يصرخ الوقت لظهور مجدد الدين ؟ ألم يأن للذين ظلموا أن ينصروا من رب العالمين ؟ أتنتظرون وقت استئصال الإسلام ؟ وقد وصل إلى شفا حفرة دين سيد الأنام ؟ ما لكم لا تغتنمون كالمواسين ؟ (٢)

إن هذه النصوص تشير إلى ظنه أن الإسلام يمر بأخطر المراحل وأسوئها في أيامه. وأن الظلام طبق على دنيا المسلمينمن كل جانب ، ووقع المسلمون فرسة لأنواع البدع والضلال والأوهام، وتناسوا الدين وتركوا العمل به ، ووصل الأمر إلى مرحلة خطيرة ، ولو لم يتم تداركها بسرعة لتستأصل شافة الإسلام ويطمس وجوده عن وجه الأرض. وفي مثل هذه الظروف الحرجة فقد جرت سنة الله تعالى أن يرسل مجدداً على رأس كل قرن ، فإن قرنه هذا في انتظار شديد لمجدد . وها هو ذا مرزا غلام أحمد القادياني قد جاء في موعد مع القدر لهداية البشرية وإرشادها وإنارة قلوبها . فهو في الحقيقة بثابة المهدي الموعود ، ويحمل نفس رسالة المسيح عليه السلام التي تنير العالم بوحدانية الله ، وتبعد الظلام الحالك من دنيا الشرك ، ويعيد إلى الإسلام صفاؤه ونوره وقوته ومجده . وهذا ما يريد القادياني التعبير عنه في هذه النصين المذكورين .

ثم يزعم أن الله قد منّ عليه وأغدق عليه نعمه ظاهراً وباطناً واصطفاه لأداء هذه المهمة ، وأعطاه نوراً وضاءً ، ورزقه علوماً ومعارف ، وأعطاه ما أعطى لكل عباده المخلصين المختارين من الأولياء ، وصفى قلبه وشرح صدره ، وجعله كالقمر في ليلة البدر لينعكس عليه نور الله وتجلياته ، وأخرجه من كثافة الظلام الحالك لهداية البشرية . وفي ذلك جاء قوله :

١- ومن أجل آلائه على أنه استودعني سره الذي لا يكشف إلا على الأولياء والروح التي لا تنفخ إلا أهل الإصطفاء ، وأعطاني كل ما أعطى لأهل الموالاة والولاء ، ووافاني ، وشرح صدري وأتم بدري، وأخبرني بأكثر ما هو مزمع عليه في سابق علمه وصبغني . بصبغة حبه وهداني طريق أسلامه وسلمه وأخرجني من المحجوبين . (٣)

---

(١) مكتوب أحمد إلى العلماء ص ١٦ الطبعة الرابعة بربوة ١٩٥٩م .
(٢) نفس المصدر ص ٥٩ .
(٣) مكتوب أحمد ص ٦ ــ ٧

٢- ثم يزعم أن الله أوحى إليه الأمور الآتيه :
ومن آلائه أنه خاطبني وقال : أنت وجيه في حضرتي ، اخترتك لنفسي ، وقال : أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق . وقال : أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي . وقال : يا أحمدي ، أنت مرادي ومعي . يحمد الله من عرشه. وقال : أنت عيسى الذي لا يضاع وقته ، كمثلك در لا يضاع ، أجراك الله في حلل الأنبياء (لعله يقصد : لعثك الله في حلل الأنبياء ، لأن عيسى نبي) ، وقال : اصنع الفلك بأعيننا ، إن الذين يبايعونك ، إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . وقال : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . (١)

ويظن كذلك أن جهاده ضد المبشرين والقساوسة الهندوس ــ كما ذكرنا من قبل ــ قد جاء بينة على أنه مجدد وشبيه المسيح ومثيله ، متناسياً جهود العلماء الهنود الأبرار ، من المعاصرين له الذين كانوا أكثر منه قوة وعلماً وأصالة ونجاحاً في المناظرة مع هؤلاء كما أسلفنا ذكرهم . يقول القادياني في هذا الصدد :

٣- ومن ألائه أنه رأى القسيسين في غاية الفساد ، وراءهم قد علوا في البلاد ، فأرسلني عند طوفان فتنتهم ، وتراكم دجنهم ، وقال : إنك اليوم لدينا مكين أمين ، فجئت من حضرة العزة وعتبة الوحدة ، عند شيوع الفتن والبدع ، وظهور المفاسد والسيئات وضعف حال المؤمنين المسلمين .

وقد جرت عادة الله الرحيم ، وسنة المولى الكريم أنه يبعث مجدداً على رأس كل مائة ، فكيف إذا كان معها طباق ظلمة وطوفان ضلالة ؟ أليس الله أرحم الراحمين ؟ ألا ترون الناس كيف سقطوا في هوة النصارى ، وكيف تمايلوا عليهم كالسكارى ؟ وكيف خرجوا من دين الله المتين ؟أسمعهم من جاءكم من دوني لإصلاح هذه الآفات أو تظنون أنه في هذه الأمةعند تلك الصدمات ؟ ما لكم لا تتفكرون ؟ وتنظرون ثم لا تنظرون . (٢)

قصده من كونه مشابه المسيح

لقد قلنا : أنه ادعى في التطور الثاني من مزاعمه أنه مشابه المسيح ومماثله . وينبغي لنا الآن أن نعرف بالتحديد قصده من القول . وإليكم ما أورده واضحاً بيناً في هذا الصدد :

فكلمني وناداني وقال ٠ أي الله) : إني مرسلك إلى قوم مفسدين . وإني جاعلك للناس إماماً ، وإني مستخلفك إكراماً مني كما جرت سنتي في الإولين . وخاطبني قائلاً : إنك أنت مني السيح بن مريم . أرسلتك لتتم ما وعد ربك الأكرم من قبل . إن وعده كان مفعولاً ، وهو أصدق الصادقين .

---

(١) مكتوب أحمد ص ٧ ــ ٨
(٢) مكتوب أحمد : ص ٨

وأخبرني : أن عيسى نبي الله قد مات ، ورفه من هذه الدنيا ، ولقى الأموات ، وما كان من المراجعين ، بل قضى الله عليه الموت وأمسكه ، وواقاه الأجل وأدركه ، فما كان له أن ينزل إلا (بروزا) كالسابقين . وقال سبحانه : إنك أنت في حل البروز . وهذا هو الوعد الحق الذي كان كالسر المرموز . فاصدع بما تؤمر ولا تخف سنة الجاهلين . وكذلك جرت سنة الله في المتقدمين . (١)

ونجده هنا يستخدم لأول مرة كلمة (البروز) وهي ــ في نظر الشاعر الفيلسوف محمد أقبال ــ تدل على التقمص أو التجسد أو نظرية (الأوتار) الهندوكية المشهورة كما سنشرحها فيما بعد . وهنا يتضح لنا تشبيهه نفسه بالمسيح : أن المسيح عليه السلام قد مات كأي إنسان في هذا الكون ، ولن يعود أبداً ، وإذا عاد فإنما يعود في صورة التجسد ، أي تتجسد صفاته وخصائصه أو روحه في جسد إنسان آخر لأداء رسالته الملقاة على عاتقه حينما بعثه الله رسولاً على بني إسرائيل . ويقصد بذلك بالتبع أن القادياني ما هو إلا فرد من البشر إلا أن صفات المسيح وأهدافه أو روحه ـ بمعنى أدق وفق نظرية الأوتار ــ تجسدت فيه ليلعب دوره في هذه الدنيا ، وهو هداية البشرية وإرشادهم إلى الطريق المستقيم.

ويقول في موضع آخر : أن النزول وفق نظرية التجسد ليس بديعاً أو مستغرباً . بل هو ثابت قد اعترفت به الصحف السماوية السابقة . لكنه لم يحدث ولم يثبت مطلقاً حتى الآن أن أحداً نزل من السمل نزولاً مادياً على مرأى الناس . ولعله يقصد بذلك أن المسيح عليه السلام قد مات ، ولم ينزل من السماء نزولاً مادياً يشاهده الناس . وهذا أمر مدهش لم يسبق له مثيل في أي عصر من العصور ولم يعترف بذلك كتاب من الكتب السماوية . وفي ذلك قوله :

" ولا يختلج في قلبك أن العلماء ينتظرون نزول المسيح من السماء . فكيف نقبل قولاً يخالف قول العلماء ؟ فإن وفاة المسيح ثابت بالآيات المحكمة القاطعة والآثار المتواترة المتظاهرة (يقصد بذلك النص القرآني) . فالأمر الذي ثبت بظاهر الأحاديث والقرآن واليقين والبرهان لا يبلغ مبلغه أمر يؤخذ من ظنون ، ولا يؤخذ من سبيل اليقين . وأما قول العلماء فلا يخلوا من لمسة يد الإنسان (يقصد بذلك اجتهادهم) فالأمن كل الأمن في قبول أمر ظاهر ثابت بالحديث والفرقان ، والعقل والوجدان ، وتكون له نظائر في كتب الأولين .

فإن النزول على طريق البروز قد سلم (أي أمر مسلم به) في الصحف السابقة . وأما نزول أحد بنفسه من السماء فليس له نظير في الأزمة الماضية . (٢)

وهنا تيضح أن يحمل كل ما جاء عن عيسى عليه السلام في القرآن والحديث على أنه توفى كما يتوفى أي بشر ، لأنه هو الآخر بشراً ، ولم يرفع إلى السماء رفعاً مادياً ، بحيث سينزل إلى الأرض نزولاً مادياً على مرأى من الناس ، ويتمكن من رؤية نزوله كل الناس ، بل الفع والنزول كلاهما كنايات وإشارات . ولا يقصد بذلك إلا رفع روحه إلى السماء ، أو رفع درجاته عند الله ، ثم نزوله متقمصاً في أحد .

---

(١) مكتوب أحمد ص ٩
(٢) مكتوب أحمد : ص ٣٥

ويحاول اثبات دعواه من خلال ما جاء عن عيسى عليه السلام . إذ سأله اليهود عن نزول (إيلياء) وهو أحد الأنبياء لهم فلجأ عيسى إلى التأويل عند شرحه لكلمة النزول ، واستخدم الإستعارات والكنايات ، ولا يصرح بالقطع أن إيلياء ينزل من السماء نزولاً حقيقياً . ولكن اليهود أخذوا بظاهر النصوص في أمر إيلياء ، ولم يلجئوا إلى التأويل كما لجأ إليه عيسى . ومن هنا كفروا عيسى ورموه بالكذب واتهموه بالإلحاد . ولكن الله كان مع عيسى ولذلك غضب على اليهود وأنزل عليهم لعنته وسخطه . (١)

ويحاول من خلال هذا الكلام اثبات دعواه : بأن المسيح هو الآخر لم يؤمن يوما ص من الأيام بأن أحداً من الأنبياء يرفع إلى السماء ، ثم ينزل إلى الأرض نزولاً حقيقياً ، فما بال العلماء المسلمين يؤمنون بهذه العقيدة فيما يتعلق بالمسيح تلك التي رفضناها رفضاً قاطعاً ، ثم يصرون على أنه ينزل من السماء نزولاً حقيقياً ضاربين بذلك ما جاء من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية عرض الحائط . ثم يؤكد قوله قائلاً : وأقبلوا ما قاله عيسى من قبل وفي ذلك الحين . أن مثل نزول عيسى في هذا الوقت الأعمى (أي العصيب) كمثل نزول إيلياء في مضى . فاعتبروا يا أولي الأبصار ، ولا تختاروا سبل الأشرار ، ولا تخالفوا ما بين الله على لسان النبيين . (٢)

ويقول فيما يتعلق بالأحاديث التي تذكر نزول عيسى من السماء وتحديد مكان النزول وهو دمشق وما إلى ذلك من الأمور : وأما ما جاء في حديث خير الأنبياء من ذكر دمشق وغيره من الأنبياء ، أكثره استعارات ومجازات من حضرة الكبرياء ، وتحتها أسرار في حلل لطائف الإيمان كما مضت سنة الله في صحف السابقين . ثم من الممكن أن ينزل في ساحة دمشق أحد من أتباعنا المخلصين . (٣)

وفيما يتعلق بقول الله عز وجل " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (٤). يرى أنه توفى كما يتوفى أي انسان ، ورفع إلى السماء على سبيل الإستعارة . وليس في هذه الآية ما يدل على أنه سيستكمل عمره وذلك بالنزول إلى الأرض واستكمال رسالته فيها . وإليكم ما أورده في هذا الصدد : " وما جاء في الحديث لفظ النزول من السماء ليرتاب أحد من المرتابين . أو لم تكفكم في موت المسيح شهادة الفرقان وشهادة نبينا المصطفى رسول الرحمن ؟ فبأي حديث تؤمنون بعدها يا معشر الإخوان ؟ ما لكم لا تتفكرون كالمحققين . أعندكم سند من الله ورسوله خير الورى في معنى التوفى الذي جاء في القرآن الكريم ؟ . فأنتم (أي هل أنتم) تتكئون على ذلك السند أو تسلكون سبل التقي أم تأولونه من عند أنفسكم ومن الهوي ؟ فأن كان سند فأخرجوه لنا إن كنتم صادقين ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تأتوا بسند . وإياكم والتفسير بالرأي ولا تتركوا الهدى فتتؤخذون من مكان قريب ولا يبقى لكم عذر ولا حجة أخرى . فما لكم لا تخافون الدين .

---

(١) مكتوب أحمد ص ٣٥
(٢) مكتوب أحمد ص ٣٦
(٣) نفس المصدر السابق
(٤) آل عمران ٥٥/٣

وأما نحن فما نقول عن معنى التوفى إلا ما قاله خير البرية ، وأصحابه الذين أوتوا العلم من منبع النبوة . وما نقبل خلاف ذلك رأي أحد ولا قول قاتل إلا ما وافق قول الله وقول خير المرسلين .

وإذا حصحص الحق في معنى التوفى على لسان خاتم النبيين ، وثبت أن التوفى هو الأمانة والإناء ، لا الرفع والإستبقاء ــ كما هو زعم المعارضين ــ فوجب ان نأخذ الحق الثابت بأيدي الصدق والصفاء ولا نبالي قول السفهاء والجهلاء ونأول كا ما خالف الأمر الثابت بالنصوص والبراهين ، ولا نقدم الظنون على اليقين ، ولا تؤثر الظلمة على النور ، ولا قول المخلوق على قول الله عالم الأسرار . انترك البينات للمتشابهات ؟ أو نضيع اليقينيات للظنيات ؟ ولن يفعل مثل هذا إلا جهول أو سفيه من المتعصبين .

إلا ترى أن نزول المسيح عند منارة دمشق (يقصد ما جاء في الأحاديث عن الرسول) يقتضي ان ينزل هو بنفسه عند تلك البقعة . وذلك غير جائز بالنصوص القاطعة المحكمة . ولا شك أن اعتقاد نزول المسيح عند ذلك المكان، يخالف أمر موته الذي يفهم من بينات نصوص القرآن ولأجل ذلك ذهب الأئمة الأتقياء إلى موت عيسى ، وقالوا : أنه مات ولحق الموتى كما هو مذهب مالك وبن حزم والإمام البخاري وغير ذلك من أكابر المحدثين ، وعليه اتفق جميع أكابر المعتزلة .

وقال بعض كرام الأولياء أن حياة عيسى ليست كحياة نبينا ، بل هو دين حياة ابراهيم وموسى ، فأشار إلى أن حياته من جنس حياة الأنبياء ، لا كحياة هذا العالم ، كما هو زعم الجهلاء . وأعلم أن الإجماع ليس على حياته ، بل نحن أحق أن ندعي الإجماع على مماته ، كما سعت آراء الأولين .

ونعلم أن أكثر أكابر الأمة يذهبون إلى موته بالصراحة ، والآخرون صمتوا بعدما سمعوا قول أولئك الأئمة . وما هذا إلا الإجماع عند العاقلين .

ثم تعلم أن كتاب الله قد صرح بهذا البيان . فمن خالفه فقد ما ورد ، ولا نقبل إجماعاً يخالف القرآن . وحسبنا كتاب الله ولا نسمع قول الآخرين .

ومن فضل الله ورحمته أن الصحابة والتابعين والأئمة الآتين بعدهم ذهبوا إلى موت عيسى . وراءه نبينا ﷺ ليلة المعراج بين أنبياء ماتوا ودخلوا داراً اخرى . ورؤيته ليست بباطلة ، بل هي حق واضح وكشف من الله الأعلى .

فمالك لا تقبل شهادة الرسول المقبول ؟ ولا تقبل شهادة القرآن ، وترضى بالقول المردود كالجهول ؟ ولا تنظر بعين المحققين ؟

ثم لا يمكن لأحد أن يأتي بأثر من الصحابة أو حديث من خير البرية ، في تفسير لفظ التوفى بغير معنى الأماتة . ولا يقدرون عليه أبداً ، ولو ماتوا بالحسرة . فأي دليل أكبر من ذلك لو كان في قلبهم مثقال ذرة من الخشية ؟ فإن بحث الوفاة والحياة أصل مقدم في هذه المناظرات . فلما حصحص صدقنا في الأصل ما بقى بحث في الفروع ، بل وجب أن نصرفها إلى معنى مناسب معنى الأصل كما هو طريق الأمانة والعدل . ولن نقبل معاني تنافي الأصل وتستلزم النقائض ، بل نرجعها إلى الأصل المحكم كالمحققين .

وأنتم تعلمون أن صحيح الإمام البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله الفرقان . وقد جاء فيه أن المسيح يضع الحرب ، ففكروا بالإمعان .فإن هذه الفقرة وأمثالها تشفيكم وتزيل شكوك القلب لأنها تدل على أن المسيح لن يحارب الناس ، بل يفحم الأعداء ويزيل الاوهام ، والوساوس ويأتي بكلمات حكيمة وآيات سماوية . (١)

ثم يرجع القادياني إلى المعاجم العربية لشرح كلمة (متوفيك) . ويقول : ومن العلماء من يقول : أن لفظ التوفي قد يجيء في لسان العرب بمعنى الإستيفاء . وهو المراد هنا في كلام حضرة الكبرياء . وإذا طلب منهم المسند فلا يأتون بسند من الشعراء . وقد كفروا بمعنى بينة خاتم الأنبياء . وما أتوا بمعنى أبلغ منه عند الفصحاء وما أثبتوا دعواهم بل نطقوا كالعامين . (٢)

ثم يخطو خطوة جديدة في هذا المجال ويشرح رسالته كمتجسد في روح المسيح قائلاً : وتعلمون أن فتن النصارى وغلوهم في الخزعبلات كانت تقتضي حكما ص من رب العالمين. فالله الذي نجا المسيح من صلب اليهود ورفعه إلى المقام الأعلى ، ثم أراد أن ينجيه من صلب النصارى مرة أخرى. فأرسلني حكماً عدلاً لهذه المهمة وسماني بإسمه لأكسر الصليب وأتم ما بقى منه من فرائض النصيحة . فكل ما أفعل كان عليه (أي على المسيح) لو كان على قيد الحياة . وكذلك قدر علام الغيوم . فجئت بعده على مقدار ما جاء ، بعد موسى . وأن في ذلك لآية لأولي النهى .

ومن آيات الله أنا أخفى في الحروب التي يتكون منها اسمي وصفي كاملاً . وإن شئت فكر في (غلام أحمد قادياني) ، وفيه إشارة إلا أنه جعلني لهداية الملة كجددا للدين . ولا يقبل العقل السليم أن يسكت الله الغيور عن هذه الفتن العظيمة ولا يبعث مجدداً على رأس هذه المائة . (٣)

أن نصوص القادياني كلها تدل بوضوح على أنه كان على علم تام بوظيفة سيدنا عيسى ومهامه كما وصفتها كتب الأحاديث . وهي أن عيسى لن يأتي بشريعة جديدة ، بل إنما يطبق شريعة رسولنا محمد عليه السلام ، وسيكون حجة على من اتخذه إلهاً من دون الله ونسبوا إليه الأكاذيب والإفتراءات. وعلى ضوء هذا الوصف لا يمانع القادياني أن يكون هو نفسه المسيح الموعود عن طريق التجسد . وحينئذ لا تعدو وظيفته أن يكون مجدد الدين المحمدي لعصره .

---

(١) مكتوب أحمد ص ٣٧ ــ ٤٠
(٢) مكتوب أحمد ص ٤٧
(٣) مكتوب أحمد ص ٥٩

وبما ان القادياني يرى نفسه المسيح الموعود المتجسد فإنه يحاول أن يطبق على نفسه كل العلامات التي ذكرت عن عيسى في الآثار المنسوبة إلى الرسول عليه السلام . وفي ذلك قوله المراد : المراد بالردائين الأصفرين اللذين يرتديهما عيسى (كما جاء في الحديث) علتان أعلتهما . لأنني أعاني من علتين . أحدهما في مقجم جسمي وهو الدوار الشديد الذي يضعف دوران الدم في القلب وأخشى به على نفسي ، وثانيهما في أسفل جسمي وهي كثرة البول الذي تسمى (الذيابطسي) . (١)

ثم يؤكد القادياني وفاة عيسى ويحدد مثواه الأخير : مات ودفن في أرض قريبة من هذه الأقطار (يقصد بلده) وقبره موجود في (سرى نغر) أي عاصمة كشمير إلى هذا الزمان ، وهو مشهور بين العوام والخواص ، والناس يذهبون لزيارة هذا القبر ويتبركون به. فاسألوا العارفين إن كنتم مرتابين.(٢)

هل ينقص القادياني شأن عيسى

يتبادر إلى الذهن حينما نقرأ رفض القادياني نزول عيسى : هل هو يحط من شأن عيسى عليه السلام، وينقص ما ناله عيسى من الله سبحانه من المكانة والدرجات الرفيعة ؟ وللإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا الرجوع إلى نصوصه نفسها .

يقول القادياني : ومن عقائدنا أن عيسى ويحيى قد ولدا على طريق خرق العادة . ولاشك في هذه الولادة .

ويقول أيضا ص : أن نزول عيسى قبل القيامة لن يضيف شيئاً إلى عظمته ومكانته . لأنه نال كال ما ينفغي أن يناله عند الله في بعثته الأولى . لقد أدى الرسالة ووصل إلى الدرجات الرفيعة عند الله . وقد كان في هذه الحياة نبياً ورسولاً وصاحب شريعة ومنهاج . وحينما ينزل إلى الأرض قبل القيامة ــ كما يزعم العلماء تكون مكانته حينئذ أقل بقليل مما تمتع به في بعثته الأولى من المكانة والدرجات ، بل يكون تابعاً لرسالة محمد عليه السلام وطبقاً لشريعته . فحينئذ تكن مكانته دون مكانته الأولى بمرات عديدة . وهذا أمر لا يعقل وفيه انتقاص له ، وكما لا يتناسب هذا الأمر مع عظمة الله وفيوض كرمه وجلالته وعظمته .

ثم يضيف قائلاً : وإذا صح قول العلماء : أن عيسى سيرجع قبل يوم الحشر والقيامة ويكسر الصليب ويدخل النصارى في الإسلام ، فكيف يصح قوله بين يدي الله كما جاء في القرآن " وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " (٣)

---

(١) براهين أحمدية ٢٠١/٥
(٢) الرسالة العربية ص ٢٢٨
(٣) المائدة

كما يصح قول عيسى في هذه الآيات: إني لا اعلم ما صنعت بأمتي بعد رفعي إلى السماء ؟ لأنه أطلع على شرك النصارى بعد رجوعه إلى الغبراء واطلع على اتخاذهم إياه وأمه الهين من الأهواء .

ويرى القادياني من ناحية أخرى أن الرسالة السماوية قد انتقلت إلى آل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام منذ بعثة محمد عليه السلام بعد أن ظلت ردحاً طويلاً من الزمن في أيدي بني اسرائيل . ولن يعو شرف الرسالة إلى بني اسرائيل مرة أخرى إلى الأبد . وإذا آمنا بنزول عيسى نزولاً حقيقياً فإننا نعيد شرف الرسالة السماوية إلى بني اسرائيل وهم ملعونون ، ولعنهم الله كثيراً في كتابه العزيز .

لقد أتى القادياني بأدلة كثيرة في دحض دعاوي خصومه فيما يتعلق بنزول عيسى من السماء نزولاً حقيقياً . ومن أدلته أيضاً في هذا الصدد أنه لا يصح القول مطلقاً بأنه ينزل من السماء . ولقد اعتقد اليهود قبل عيسى أن سيدنا إلياس قد رفع إلى السماء ثم ينزل مرة أخرى إلى الأرض. لقد طال انتظارهم ولم ينزل حتى هذه اللحظة. وكذلك نزول عيسى أمر باطل لا يصدقه العقل ولم يسبق له مثيل (١) .

التطور النهائي في مزاعم القادياني

لقد ظل القادياني على مزاعمه المذكورة بأنه شبيه عيسى ومثيله، وذلك لأن صفات عيسى قد تجسدت فيه وذلك إلى زمن غير يسير . ثم نلحظ فيه تطوراً آخر منذ عام ١٩٠١م تقريباً ، إذ أنه خطا خطوة أخرى في هذا المجال وادعى : أنه هو المسيح الموعود حقاً من دون ريب بالمعنى المذكور وأنه شبيه الأنبياء لهذا السبب . وهذا الأمر يظهر لنا بوضوح في رسالة بعث بها إلى هيئة فكرية وتعليمية في الهند وهي (ندوة العلماء) وذلك في عام ١٩٠٢م . لقد جاء في هذه الرسالة : فكما ذكرت مراراً أن الكلام الذي أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة . وأنا نبي وبروري من أنبياء الله. ويجب على كل مسلم طاعتي في الأمور الدينية ويجب على كل مسلم بأني المسيح الموعود . وكل ما سعته دعوتي فلم يحكمني ٠ أي يتخذني حكماً فيما شجر بينهم من الخلافات) ولم يؤمن بأني المسيح الموعود ، وبأن الوحي الذي ينزل عليّ من الله هو مثول ومحاسب في المساء وإن كان مسلماً . لأنه قد رفض الأمر الذي وجب عليه قبوله في وقته . إنني لا أقتصر على قولي : إن كنت كاذباً لهلكت ، بل أضيف إلى ذلك ، أنني صادق كموسى وعيسى وداوود ومحمد ﷺ . وقد أنزل الله لإثباتي وتصديقي آيات سماوية تربو على عشرة آلاف . وقد شهدني القرآن وحدد الأنبياء زمن بعثتي وهو هذا العصر الذي نعيش فيه . وقد شهدني كذلك القرآن وحدد عصري ، وشهدتني السماء والأرض والأنبياء جميعاً . (٢)

وبالإضافة إلى هذه العبارة ، فلدينا كتاب آخر ، طبع لأول مرة في عام ١٩٠٣م وهو (مواهب الرحمن) الذي كرر فيه معظم ما زعمه في رسالته المذكورة إلى ندوة العلماء . وإليكم أهم م ورد في هذا الكتاب :

---

(١) مواهب الرحمن لمرزا غلام أحمد قادياني ص ٣٩ ـ ٥٠
(٢) تحفة الندوة للقادياني ص ٤

١- أعلم ان موضوع أمرنا هذا ، هي الدعوة التي عرضتها على الناس وقلت أني أنا المسيح الموعود والإمام المنتظر المعهود ، وحكمني الله (اي جعلني حكماً) لرفع اختلاف الأمة ، وعلمني من لدنه ، لأدعوا الناس على البصيرة . (١)

٢- هل غضبوا على ما قلت : أن عيسى مات ، وأني أنا المسيح الموعود الذي يحيي الأموات ؟ ولو فكروا في القرآن من غضبوا . ولو اتقوا لما تغيظوا . وأن موت عيسى خير لهم لو كانوا يعلمون . وأن الله أعطاهم مسيحاً كما أعطى اليهود مسيحاً ، ما لهم لا يفهمون . (٢)

٣- وأن ظهور المسيح من هذه الأمة ليس أمراً يعسر فهمه على ذوي الفطنة . بل تظهر دلالته عند التأمل والمقارنة . أعني عند موازنة السلسلة المحمدية بالسلسلة الإسرائيلية. ولاشك أن سيدنا محمد سيد الأنا وصدر الإسلام كان مثيل موسى . فاقتضت رعاية المقارنة أن يبعث في آخر زمن الأمة مثيل عيسى .

وإليه أشار ربنا في الصحف المطهرة . فإن شئتم فكروا في سورة النور والتحريم والفاتحة . هذا ما كتب ربنا الذي لا يبلغ مبلغ علمه العالمون . فبأي حديث بعده يؤمنون ؟

وأنه جعلني مسيحه وأيدني بآيات كبرى . وعطلت العشار وترون القلاص لا يركب عليها ولا يسعني ورأيتم يا معشر الهند والعرب كسوف القمرين في رمضان فبأي آيات ربكما تكذبان ؟ (٣)

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا التطور الأخير ليس بدعاً ولام غيراً عن تطوراته الأولى والثانية . بل هي الحلقة النهائية لنفس المزاعم . وذلك أنه في هذه المرحلة الأخيرة لم يأت بشئ جديد ، بل إنما يؤكد كونه المسيح بالتجسد . وفي المرحلة الاولى كان يعتبر نفسه مجرد مجدد ومهدي ، وفي المرحلة الثانية ظن ــ بإيحاء من بعض مريديه ــ أنه شبيه عيسى ومثيله وفق نظرية التجسد ، ثم صار هذا الظن والتخمين يقيناً وتأكيداً في هذه المرحلة النهائية . ولم يرتب أبداً في هذه المرحلة كونه مسيحاً وفق نظرية التجسد ، وبما أن المسيح عليه السلام كان نبياً ، زعم أنه هو الآخر يشبه الأنبياء ، وإن لم يكن من الأنبياء حقيقة . وبالإضافة إلى هذا التأكيد واليقين زعم أن الله أعطاه آيات وبينات ومعجزات منها خسوف الشمس والقمر في رمضان لأجله على حد زعمه ، وأمور أخرى كثيرة . وكذلك توعد بالعقاب عند الله كل من عارضه وعانده ، ثم طبق على نفسه كل الآيات القرآنية التي جاءت في التنديد بالمشركين المعارضين للرسول عليه السلام وتهديدهم وإنذارهم بالعقاب الشديد .

---

(١) مواهب الرحمن ص ١٢
(٢) مواهب الرحمن ص ٣٢
(٣) نفس المصدر ص ٣٣

موقفه من الرسول والإسلام

هنا يتسائل المرء : ماذا كان موقف القادياني من محمد ﷺ وشريعته الإسلامية الغراء ؟ هل كان يعتبر نفسه ناسخاً لهذه الشريعة ؟ وللإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا أن نقف عند أقواله ونصوصه نفسها . وإليكم ما أورده في هذا الصدد :

١- إنا مسلمون نؤمن بكتاب الله الفرقان. ونؤمن أن سيدنا محمد نبيه ورسوله ، وأنه جاء بخير الأديان . ونؤمن بأنه خاتم الأنبياء لا نبي بعده .

٢- فإن القرآن أكمل وطر الشريعة ، ولا يعطون إلا فهم القرآن . ولا يزيدون عليه ولا ينقصون منه. وما زاد أو نقص فأولئك من الشياطين الفجرة .

٣- ولا شريعة بعده (أي بعد الرسول عليه السلام) ولا ناسخ لكتابه ووصيته ولا مبدل لكلماته . ومن خرج مثقال ذرة عن القرآن فقد خرج من الإيمان ، ولن يفلح أحد حتى يتبع كل ما ثبت عن نبينا المصطفى . ومن ترك مقدار ذرة من وصاياه فقد هوى .

٤- ومن ادعى النبوة من هذه الأمة ولم يعتقد بأن سيدنا محمداً خير البرية رباه الله ، ولنا فيه أسوة حسنة ، لا يساوي هذا الرجل شيئاً ، وأن القرآن خاتم الشريعة . فقد هلك وانضم إلى زمرة الكفرة الفجرة .

٥- لا نبي لنا تحت السماء غير النبي المجتبى . ولاك تاب سوى القرآن ، فكل من خالف هذا الأمر فقد جر نفسه إلى نار تلظى .

٦- ومن أنكر أحاديث نبينا التي عرضت على ميزان النقد وفحصت ، تلك التي لا تتعارض مع القرآن ، فهو أخو ابليس وأنه استحق اللعنة وضيع إيمانه .

٧- وأن القرآن مقدم على كل شئ، والوحي الحكم (لعله يقصد الحديث المتواتر) مقدم على الأحاديث بشرط أن يطابق هذا الوحي القرآني مطابقة تامة ، وذلك لأن في الأحديث طائفة تتعارض مع القرآن ، ولاسيما مع القصص القرآنية . وأن الوحي الحكم (أو المتواتر من الحديث) مر يقيني ، لاشك فيه لأن أساسه قوي متين .

٨- ونعتقد بأن الصلاة والصوم والزكاة والحج من فرائض الله الجليل، فمن تركها متعمداً دون اعتذار عند الله فقد ضل سواء السبيل

٩- ومن عقائدنا ان عيسى ويحيى قد ولدا على طريق خرق العادة . ولا غرابة في هذه الولادة . (١)

١٠- لا يدخل في جماعتنا إلا من دخل في دين الإسلام واتبع كتاب الله وسنن سيدنا خير الأنام وآمن بالله ورسوله الكريم الرحيم ، وبالحشر والنشور والجنة والجحيم ،. ينبغي له أن يقر بأنه لن يبتغي ديناً غير الإسلام ، ويموت على هذا الدين وهو دين الفطرة متمسكاً بكتاب الله العلي . ويعمل بكل ما ثبت من السنة والقرآن وإجماع الصحابة الكرام . ومن ترك هذه الثلاثة فقد سلم نفسه للنار . (٢)

١١- فاعلموا أيها الإخوان ، أن الإيمان لا يتحقق إلا بالعمل الصالح والإتقاء. فمن ترك العمل متكبراً متعمداً فلا إيمان له عند حضرة الكبرياء. فاتقوا الله أيها الإخوان ، وبادروا إلى الصالحات من الأعمال واجتنبوا السيئات قبل الممات . ولا تغرنكم نضرة الدنيا وخضرتها وبريق هذه الدار وزينتها فإنها سراب ، وما لها تباب وحلاوتها مرارة وربحها خسارة . (٣)

الوحي والمعجزات

لما ادعى القادياني أنه المهدي أو المسيح الموعود بالتجسد أو ان تجليات الرسول عليه السلام انعكست عليه وأنارته وأضاءته وأشعلت موهبة النبوة فيه كان من المحتوم أيضا ص أن يدعي الإلهام والوحي والكشف والكرامات والخوارق . لقد قلنا : أنه تاه في وادي التصوف المظلم وأصبح ضحيته فاختل ميزان عقله ، الأمر الذي حمله على أن يزعم كل ما يزعهمه يوجي هندوكي أو متصوف مسلم في كل عصر وزمان . أن الكشف والكرامات لا يعرفهما العقل والمنطق بل هما امور يشعر بها المتصوفون الغارقون في بحار وحدة الوجود ويرونهما رأي العين في نشوة الإستغراق والتأمل . ولكنهما بالنسبة إلينا نحن صحيحوا العقل والوجدان والشعور أوهام وخيالات تتجسد من جراء الرياضات الصوفية المعينة ، ولم تمت بصلة إلى الحقيقة والواقعية . وإليكم لقطة من هذه الانطباعات الصوفية من خلال ما أورده القادياني :

" وأني قد جئتهم عند الضرورة الملحة وفساد الأمة ، فكانت الأدلة التي تصدقني متوفرة لديهم ولكنهم لم يروها بسبب الغباوة . ومن شقاوتهم أنهم لم يفكروا في رأس المائة الهجرية التي سينزل فيها المسيح الموعود . وكان هذا أمرا ص بديهياً بالنسبة إلى أهل البصيرة ، وعلى ذلك أجمع جميع أهل الكشف ، كما اجمعت عليه الأحاديث الصحيحة وأشارات النصوص القرآنية .

ولما أصروا على الإنكار أقبلت على هؤلاء المنكرين وقلت لهم : عندي شهادات من عند الله فهل أنتم تقبلونها ؟ ولكنهم جحدوا بها وأصروا على هذه الحجة فيا أسفا على القوم الظالمين .

---

(١) مواهب الرحمن ص ٣٧ ــ ٤٣
(٢) مواهب الرحمن ص ٥٢
(٣) نفس المصدر السابق

هنالك تمنيت أن ينزل عليهم وباء لتنبيه هؤلاء المعتدين . فأوحى إلى الطاعون نازل . أن أعمالهم السيئة هي التي جلبت هذا الطاعون . فوالله لم يمض إلا زمن قليل حتى نزل الطاعون وعاث في هذه البلدان "

ويقول كذلك : لقد أظهر الله لي آيات من السماء وآيات في الأرض ليهتدي بها من كان من المبصرين

ويقول في الكرامات : أن الكرامات حق لا ننكرها في وقت من الأوقات . قد أحيا الله الوفا بين الناس على يدي وبعثهم من الأجداث .

ان الله قد خاطبني وقال : يا احمدي ، أنت مرادي ومعي . أنت وجيه في حضرتي . اخترتك لنفسي . وسرك سري . وأنت معي وأنا معك . وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق . إذا غضبت غضبت . وكل ما أحببته أحببته . إني مهين من أراد إهانتك . وإني معين من أراد إعانتك .

وإن الله خاطبني وبشرني بإكرامي وقبولي في زمن البأس وقال : أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي. فحان أن تعان وتعرف بين الناس . يحمدك الله من عرشه . (١)

مجيئه هادياً ومرشداً

لقد كرر القادياني مراراً وتكراراً في كتبه أنه هاد ومصلح ومجدد ، قد بعثه في أشد المحن التي كان يعاني منها الإسلام لإنقاذ الإسلام والمسلمين. وفي ذلك قوله : أن الزمان يتكلم بلسان الحال ، أنه يحتاج إلى مصلح . لأنه بلغ غاية الإختلال . لقد حدثت في العالم تقلبات أليمة ، وتغيرات هائلة لم يسبق لها مثيل قط من قبل . وأن الهمم كلها اتجهت إلى نعيم الدنيا ، وأصبح القرآن مهجوراً ، واحتلت الفلسفة المكانة الأولى في قلوب الناس ، وتواغل الكسل إلى أعماق القلوب . وكذلك تغلغلت البدع في قلوب الناس ، وأن نبينا يسب ويشتم وينسب إلى الأشرار ويوجه إلى كتاب الله الأقوال الشنيعة والأكاذيب الباطلة : أتسكت غيرة الله في هذه الظروف المؤلمة إذ صار الإسلام كذرة من التراب على جبل شامخ ؟ (٢)

تطبيقه على نفسه ما أنعمه الله على الرسول مُحَمَّد

إن القادياني يحاول أن يطبق على نفسه معظم ما ذكره الله تعالى من فضله وكرمه ونعمته وأنعامه على الرسول محمد عليه السلام وإليكم هذا المثال : " إن الله حقق في نفسي ما جاء في سورة الضحى . ولما توفى أبي قال الله : أليس الله بكاف عبده ؟ ثم صار كفيلي كما وعد وآواني في كنفه . ولم رآني ضالاً حائراً وباحثاً عن طريقه ، ولم يساعدني أحد ، هداني وعلمني من لدنه ، ولما اجتمع حولي الناس ، وكنت في غاية الفقر ، أنعم عليّ وأغنى . وأنه معي أينما كنت " (٣)

---

(١) مواهب الرحمن ص ١٤ ــ ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٦ ــ ٦٩
(٢) نفس المصدر ص ٤٩
(٣) نفس المصدر ص ٥١

تفسيره لخاتم النبيين

ومن الجدير بالذكر أن القادياني يفسر قوله تعالى " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " (١) ، تفسيراً غريباً لم يسبق له مثيل في الإسلام ويسبغ على هذه الآية هي الأخرى صبغة عقيدة التجسد .

يقول القادياني : ونعني بختم النبوة كمالات النبوة على نبينا الذي هو أفضل رسل الله وأنبيائه . ونعتقد بأنه لا نبي بعده إلا الذي هو من أمته ومن أكمل أتباعه ، الذي وجد الفيض كله من روحانيته ، وأضاء بضيائه . فهناك لا غيرة ولا مقام للغيرة . وليست ببوة أخرى ولا محل للحيرة ، بل هو أحمد تجلى في سجنجل (المرآة) آخر .

تفسير هذا الكلام : أن النبوة السماوية قد استكملت مهامها ومميزاتها بعد محمد عليه السلام . ولا رسالة ولا نبوة ولا شريعة بعد محمد عليه السلام ولكن بقا هناك شئ واحد . هو انعكاس تجليات محمد على رجل من أتباعه ، استكمل تربيته الروحانية ، ونال فيضه من محمد وتعاليمه ، وبلغ مقاماً عالياً عند الله . وإذا تجلى هذا الرجل بنور محمد ، فلن تكون رسالته إضافة أو نسخاً لشريعة محم ، بل تكون نفس الرسالة لأ محمداً نفسه تجلى فيه وانعكست عليه أضواؤه وأنواره .

والحقيقة أن هذا التعبير صوفي محض يحمل في طياته معنى وحدة الوجود من ناحية وعقيدة التجسد من ناحية أخرى. فهنا لا يستعبد القادياني تقمص عيسى في جسد إنسان استكمل روحانيته مثل القادياني ــ على حد قوله ــ وحده ، بل كذلك لا يستعبد تجسده على رجل من أتباعه بلغ مبلغاً كبيراً في الروحانية . إن هذه الظاهرة تسمى في اصطلاح التصوف الإسلامي بالفناء ،في التصوف الهندوكي بالتجسد (الأوتار) . وإليكم عبارة واضحة للقادياني في هذا المعنى :

" ولا يغار رجل على صورته التي أراه الله في مرآة وأ؟هر . فإن الغيرة لا تهيج التلاميذ والأبناء . فمن كان من النبي وفي النبي فإنما هو هو ، لأنه في أتم مقام الفناء . ولأنه مصطبغ بصبغته ومرتدى بردانه " .

لقد ظهر الوجود منه وبلغ منه كمال النشؤ والنماء . وهذا هو الحق الذي يشهد على بركات نبينا . إن الناس يرون جماله (أي جمال محمد عليه السلام) وحسنه في حلل المتبعين له والمتفانين فيه بكمال المحب والصفاء . ومن الجهل ان يشك فيه أحد . بل هو ثابت من الله ولا يمكن نفيه بحال .

---

(١) الأحزاب ٣٣ / ٤٠

أن محمداً لم يكن أبا أحد من الرجال من حيث الجسمانية ولكنه سيكون أبا من حيث فيض الرسالة لمن الستكمل روحانيته . وأنه خاتم النبيين وعلم المقبولين . ولم يحضر أمامه أحد إلا الذي الختمة من خاتمه ويتجلى بسنته ﷺ . ولن يقبل عمله ولا عبادة إلا بعد الإقرار برسالته والثبات على دينه وملته . وقد هلك من تركه ولم يتبعه في جميع سننه على قدر وسعه وطاقته .

ويرى القادياني أنه لا مانع من ادعاء النبوة على ضوء هذا التفسير لختم النبوة . وفي ذلك قوله : ومن ادعى النبوة ولم يعتقد بأنه من أمته وأن وجوده على مبنى فيضانه ، وأنه ثمرة من ثمار بستانه وقطرة من بحاره ، ولمعة من أشعته فهو ملعون ، ولعنة الله عليه وعلى أنصاره وأتباعه وأعوانه .

ومن هنا يفرض نفسه نبياً متجسداً على الناس ويجبرهم على الإيمان به ، ويندد بمن يكفر به ويعارضه . وفي ذلك جاء قوله : فمن لم يقبل الوحي إلى الإمام الموعود ، ونبذه لروايات ليس كالمحسوس المشهود ، فقد ضل ضلالاً مبيناً ، ومات ميتة جاهلية وآثر الشك على اليقين ، وطرد من حضرة الله . (١)

ومن الجدير بالملاحظة أن القادياني يعتبر من الأنبياء كلهم منذ سيدنا ابراهيم حتى الرسول عليه السلام جاءوا متجسدين فقد تجسد ابراهيم عليه السلام في محمد عليه السلام . وفي ذلك قوله : قد ولد إبراهيم على الطبيعة والفطرة . وبعد مرور ألفين وخمسين سنة ولد من يشابهه في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ . (٢)

وعلى هذه الطريقة ــ على حد زعمه ــ يتجلى محمد في متبع كامل له. وقد تجلى من قبل على مئات مر أتباعه . وقد سمى هؤلاء عند الله محمد أحمد عن طريق الظل . (٣)

وعلى هذا يعتقد أن محمداً عليه السلام قد تجلى فيه

---

(١) مواهب الرحمن ص ٣٧ ــ ٣٨
(٢) الحكم القاديانية المجلد ٣٧ والعدد ١٦ ، ٧ مايو ١٩٣٤م .
(٣) آنية كمالات اسلام ص ٣٤٦ .

دفاعه عن نفسه من جهة خصومه

لقد واجه القادياني معارضة شديدة من قبل العلماء المسلمين . فقد كشف هؤلاء عيوبه وعروة تعريه كاملة واتهموه بطلب الشهرة والجاه والمال . ولكن القادياني يدفع عن نفسه هذه التهم على الوجه الآتي:

أيحسبون أنني أحب الشهرة مما جعلهم يحسدونني ؟ والله إني لا أحب إلا العزلة ومغارة الخلوة . وما كنت خارجاً من زاويتي إلا الناس . فإن ربي أخرجني وقد كنت كارهاً له من قلبي . وانفر من الشهرة كل النفور . ولم يكن شئ ألذ إليّ من العزلة والخلوة . فأي ذنب يقع عليّ إذا أخرجني ربي من حجرتي للمصلحة العامة . إني لم أكن من طبقة العلماء ولم أنتم إلى أولاد فاطمة بنت الرسول ليظن الظانون أنني أطلب منصباً من مناصب آبائي (١) بهذه الحيل .

تحدياته ومفاخره

كما أن القادياني ادعى الوحي والإلهام من الله كذلك أبدى تحديات سافرة وافتخر بلغته العربية الضعيفة الركيكة ، وزعم أنه بلغ مبلغ الإعجاز في فصاحة اللغة العربية وبيانها . وتحدى العلماء الهنود أجمع في عصره أن يأتوا بكلام عربي مثله . وإليكم بعض مزاعمه بنصه الحرفي :

ومن آياتي كتب ألفتها بالعربية في تلك المدة المشتهرة . وجعلها الله إعجازاً لي إتماماً للحجة . وأولها (إعجاز المسيح) ، ثم بعد ذلك (المهدي) ، ثم (الإعجاز الأحمدي) وهو معجزة عظمى . وكنت فرضت للمخالفين (يقصد خصومه) صلة عشرة الآلاف (لعله يقصد روبية) أن يأتوا (لعله يقصد إذا أتوا) كمثل الإعجاز الأحمدي في عشرين يوماً من غير إخلاف (يقصد : دون تخلف) فما بارز أحد للجواب . كأنهم بكم أو مع الدواب ومع تلك الصلة لعنت الصامتين الساكتين المتوارين في الحجاب وأحفظتهم به (لعله يقصد : تحديتهم) لكي يتحركوا لجواب الكتاب (أي للإجابة على الكتاب) فتواروا في حجراتهم ، وما نعلم ما صنع الله في قلوبهم مع إطماع مني وإعناتهم . (٢)

وهذه النبذ من كلامه تكفي للدلالة على بلاغته العربية وبيانه الرائع وإعجازه الخالد . وإن القرّاء العرب يستطيعون الحكم عليه .

---

(١) مواهب الرحمن ص ٤٩

(٢) نفس المصدر ص ٧٠

شتـــــائمه

ومن الغريب أن القادياني على الرغم من مزاعمه المذكورة لم يصبر كما زعم أولو العزم من الرسل ولم يحتمل الطعنات الموجهة ضده من قبل خصومه ، بل ثارعليهم وأطال لسانه ناسياً أبسط مبادئ الأخلاق كأنه رجل عامي لا يستطيع الصمود في وجه خصومه، ولم يقدر على أن يضرب مثلاً رائعاً من خلال أخلاقه وصبره وتحمله المشكلات ومواجهته الأعداء والخصوم . وإليكم نبذة من شتائمه :

١- ضحك علينا سفهاؤهم من غير علم وكاد يشق ضحكهم أشداقهم ورقص أمامهم العلماء كما ترقص القرود وتضحك . ثم تبعهم الحمقى كالمحرجين ومشوا خلفهم ، كما يمشي أعرج خلف أعرج آخر ، ولم يعقدوا حفلة ولا جلسة إلا صبوا عليّ اللعنات ، وأفتوا بفسقي . وهم كلهم صخابون ولعّانون . (١)

٢- فقد صار أكثرهم كالكلاب . (٢)

الجانب السياسي للقاديانية

تحريم الجهاد ، والموالاة للإنجليز وخيانة الحركات التحريرية الوطنية

لقد قلنا أن القادياني طبع على الموهبة الصوفية ثم مارس التجارب الصوفية الرامية إلى وحدة الوجود ، وتاه في متاهات الحيرة وضل الطريق واختل ميزان عقله . ومن هنا جرت على لسانه كلمات هذيانية عرضنا طائفة منها ، وكذلك قلنا : أن عائلته كانت دائماً في خدمة الحكم البريطاني ، فالقادياني نفسه كان مديناً للحكومة البريطانية بالفضل إلى أصدى الحدود . ولطننا مع ذلك لا نود الإتهام بأن الإنجليز هم الذين أوحوا للقادياني بفكرة إنشاء الحركة القاديانية ، بل نرى أن الإنجليز استغلوا هذيانه وخدماته السابقة لهم ، ومعارضة العلماء له لتحقيق مصالحهم السياسية ، وكسب ما فشوا فيه بإجراءات القمع والبطش والإرهاب والتي مارسوها لإخضاع المسلمين لنفوذهم . إن الشعور بكراهية المسلمين للحكم الإنجليزي بسبب إنتزاعهم الدولة الإسلامية من أيديهم ، وإيمانهم بالجهاد ضد المشركين والكفار ، وحماستهم له إلى أقصى الحدود ودعوتهم له بكل الطرق والوسائل ومعاداتهم الشديدة لكل ما جاء به الإنجليز ، سواء منه ما كان يتعلق بالثقافة والتعليم أو ما يتعلق بالإقتصاد والشئون الأخرى كان عقبات هائلة في طريق تثبيت أقدام الإنجليز في الهند . ومن هنا اتجهت نية الإنجليز إلى ضرب الإسلام في معقله وعلى أيدي أبنائه ، أو على الأقل إيجاد الثغرات في عقائدهم الراسخة ، وخلق البلبلة الفكرية في نفوسهم وزعزعة إيمانهم ، وتحطيم وحدتهم ، واللجوء إلى كل الوسائل التي تساعد على صرف أنظارهم عن المسرح السياسي وإيقاعهم في الخلافات المذهبية فيما بينهم حتى تتاح الفرص للإنجليز لالتقاد الأنفاس وتوطيد الحكم في البلاد .

لقد وجد الإنجليز في الحركة القاديانية ما يحقق أغراضهم ونواياهم ، ولذلك تقربوا إلى القادياني وجذبوه إليهم واغدقوا عليه نعيم الدنيا ، وفتحوا له خزائن الدولة وعرضوا عليه عقد معاهدة الموالاة

للإنجليز إلى الأبد . ثم طلب إليه الإنجليز أن يعمل على القضاء على حماسة الجهاد لدى المسلمين بالدرجة الأولى ، ثم حملهم على التعاون مع الإنجليز بل والموالاة لهم والتعلق بأذيالهم كالعملاء المهجورين.

لقد تعاهد القادياني على تحقيق كل طلبات الإنجليز وصدق وعده فكرّس شطراً كبيراً من جهوده وجهاده في هذا السبيل حتى وفاته ، ثم ظل على هذا العهد أتباعه وأنصاره وهم على ذلك حتى اليوم .

إن الاستعمار قلما يخلق شيئاً جديداً لضرب أعدائه بل يستغل الأحداث والتطورات لتحقيق مصالحه، وتغيير مجراه الإتجاه الحقيقي صوب أهدافه ونواياه . ومن هنا نرى أن القاديانية لم يخلقها الاستعمار فحسب ، بل استغلها واستمالها إلى جانبه ثم مولها لتحقيق أهدافه الإستعمارية الصليبية .

ووفق المعاهدة مع الإنجليز حاول القادياني القضاء على الحماسة للجهاد بكل الطرق والوسائل وكل ذلك على ضوء الإصطلاحات الصوفية وأساليبها المسمومة . لقد زعم أن تزكية القلوب وتنقيتها من الذنوب والمعاصي وأوساخ الدنيا ينبغي عن طريق الرياضيات الصوفية الشاقة بما يسمى بالجهاد الأكبر ، وأما الغزو العسكري بالسيف ضد المشركين فهو الجهاد الأصغر . أننا لسنا الآن وفي مثل هذه الظروف الحرجة في حاجة إلى الجهاد بالسيف ، بل نحن في حاجة ملحة إلى الجهاد الأكبر وإليكم ما أورده في هذا الصدد :

أيها الأعزاء ، اتقوا الخبير الديّان . فقد حل بنا جميع المصائب . وها قد نزل المسيح من السماء وأتى الطاعون ، فإذا لم تتوبوا اليوم فمتى تتوبون ؟ فاعلموا أن هذا وقت رفض الكبر والخيلاء . وليس وقت الرعونة والغفلة والإستهزاء . وأن الله غضب غضباً شديداً على الذين رضوا بعيشة الغفلة وآثروا الدنيا وزينتها ولا يؤمنون إلا بالسنة .

فإني أذكركم بأيام الله ، فاتقوا الله يا ذوي الفطنة . وليس هذا وقت الغزو وتقلد الرماح والمرفهات . بل أمرني ربي يا معشر هذا الأمة أن تتقلدوا بسلاح التوبة والعفة . فإن النصرة كلها في هذه العدة . وأن الأرض ملعونة وممقوتة من كثرة الخطايا وترك الله والتمايل على الخزعبلات. وليس الوقت وقت السيوف والأسنة . بل أوان تزكية النفوس . (١)

وبعد إلغاء فكرة الجهاد ومحاولة محوها من قلوب أتباعه دعا إلى موالاة الإنجليز والدفاع عنهم في كل المناسبات ، وأثنى عليهم ثناءً بالغاً ، وجعلهم ظل الله في الأرض ورحمة الله من السماء .

وإليكم مقتطفات من أقواله في موالاة الإنجليز وهي تدل على التعليق بأذيالهم ولا يسعنا إلا أن نقول إنها في غاية الحقارة والذلة . والإنحطاط والسفالة .

---

(١) مواهب الرحمن ص ٣٥

١- ينبغي لي أن أقول لكم قبل كل شئ : إنني أنتمي إلى تلك الأسرة التي اعترفت الحكومة البريطانية ـــ منذ مدة طويلة ـــ بأنها صديقة ومتمنية للخير والسعادة للحكومة البريطانية من الدرجة الاولى ، وكان والديّ وأفراد أسرتي كلهم من راغبي الخير للحكومة البريطانية العظمى بكل جوارحهم ، وأوفياء مخلصين لهم من صميم قلوبهم كما اعترف بذلك مسئولوا الحكومة الإنجليزية المحترمون وصرحوا بأن هذه الأسرة من مريدي الحكومة البريطانية العظمى. وهذه الإعترافات كلها مسجلة في الوثائق الرسمية.

لذلك أعمل بحرارة قلبي في خدمة هذه الحكومة وأعلن عن منافع هذه الحكومة وإحساناتها أمام الناس كما عمل من قبل أبي وأخي . وأفرض عليهم الخضوع لهذه الحكومة وطاعتها طاعة كاملة . (١)

٢- إنني أنتمي إلى تلك الأسرة التي تتمنى للحكومة البريطانية كل الخير والسعادة . لقد كان والدي ـــ مرزا غلام مرتضى ـــ رجلاً وفياً صديقاً محباً مخلصاً للحكومة البريطانية لقد خصصت له الحكومة كرسياً للجلوس في كل الحفلات الرسمية إلى جانب الحاكم البريطاني . فقد ساعدهم والدي مساعدة كبيرة في قمع تمرد ١٨٥٧م (يقصد الثورة الوطنية الكبرى ضد الإنجليز) ومدهم بخمسين فارساً مسلحاً لضرب الثوار . ولذلك تدفقت على والدي رسائل الشكر والإمتنان من قبل الحكام . وكذلك ساندهم والدي في المعارك الأخرى التي خاضها المتمردون (يقصد الأحرار الوطنيون) ضدهم . (٢)

٣- ولما توفى والدي ناب عنه أخي الكبير مرزا غلام قادر في خدمة الحكومة البريطانية . فشملته الحكومة هو الآخر بعنايتها وإكرمها وفضلها وجوائزها كما صنعت من قبل مع والدي . ولما توفى هو الآخر اقتفيت آثارهما وسكلت مسلكهما في إعلان الحب والواء للحكومة والطاعة لها وخدمتها . إنني كنت أعيش في هذه الأيام عيشة العزلة ، ولم أملك قدراً كافياً من المال ، إلا إنني كرّست جهودي كلها في خدمة الإنجليز من كل قلمي وعون الله سبحانه . وقد عاهدت الله منذ ذلك الحين على أنني لم أكتب شيئاً ضد هذه الحكومة ، بل أذكر في جميع كتبي منن قيصرة الهند (يقصد الملكة البريطانية في عصره) ووجوب طاعتها له . (٣)

يبدو لنا من خلال هذه النصوص أنه أخذ على نفسه ـــ قبل تنصيبه نفسه المسيح الموعود ـــ خدمة الأنجليز ومعارضة فكرة الجهاد والكفاح ضد الإنجليز أسوة بأبيه وأخيه في هذا المجال . وسائراً في ركابهما في ارتكاب جريمة الخيانة ضد الوطن والمواطنين ومنفذاً لخططها بكل وفاء وإخلاص ، وكل ذلك دون تلقيه إيحاءات من الإنجليز ومحاولتهم أعداده للإدعاء بأنه المسيح الموعود لتحقيق أغراضهم السياسية . وإلى ذلك يشير قوله :

---

(١) الرسالة التبليغية لميرقاسم على القادياني ٨/٧ ـــ ١١ .
(٢) كتاب البرية ـــ الإعلان بتاريخ ١٨٩٧/٩/٢٠ ص ٣ .
(٣) نور الحق للقادياني ٢٨/١

كنت معتزلاً في زاوية من الزوايا بعيداً عن المجتمع ، ولم أكن في حالة اليسر في ذلك الحين ، ولم أملك شيئاً من المال . وع ذلك فرضت لعى نفسي منذ ست عشرة سنة دعوة قومي إلى الطاعة الوخضوع للحكومة البريطانية وأن يتمنوا لها الخير والسعادة . ولهذا السبب أخذت على نفسي تحريم القتال ضد هذه الحكومة في كل مقالاتي وكتبي . (١)

ثم استخدمته الحكومة البريطانية ــ بعد دراستها لمواهبه الصوفية في تضليل المسلمين وبعد ظهور دعوته المهدية التي يمكنه بواسطتها إسداء خدمات جليلة للإنجليز ــ واختارته لخدمتها ، ومولت حركته بمال وعتاد بكل سخاء ، ووقفت إلى جانب حركته بكل قوة تشجعها وترد عنها الكيد . لقد القادياني وعده في خدمة الإنجليز أسوةً بأبيه وأخيه وأفراد عائلته كلهم ، فظل وفياً مخلصاً لها حتى الموت . وإليكم ما أورده في هذا الصدد : " إني من أول عهدي من عمري إلى هذا الوقت ــ وهو قرابة ستين عاماً ــ أواصل جهودي بلساني وقلمي لجذب قلوب المسلمين نحو الحكومة البريطانية العظمى ، كما أبذر في قلوبهم بذور الحب الصادق والصداقة المباركة والمشاركة في الإحساس مع الحكومة البريطانية. كما أبعد وأزيل من قلوبهم ما تعلق بها من عقيدة الجهاد الخاطئة ، تلك التي تعكر الصفاء ، وتضع العقبات في طريق العلاقات الودية والوفاء والإخلاص للحكومة البريطانية . وقد كللت جهودي كلها في هذا السبيل بنجاح باهر ، لأن مؤلفاتي أثرت في قلوب المسلمين تأثيراً بالغاً وحدث تغيير جذري في قلوب آلاف المسلمين " . (٢)

ويضيف قائلاً : لقد خطوت أكبر مرحلة من حياتي في نصرة الدولة البريطانية والدفاع عنها وقد ألفت كتباً كثيرة أحرّم فيها الجهاد ضدها ، ووجوب الطاعة والخضوع لها . لو جمع كل ما كتبته في هذا الصدد لبلغ خمسين كتاباً ، ووزعت هذه الكتب كلها في جميع أقطار العالم مثل : الجزيرة العربية والشام ومصر وكابل (عاصمة أفغانستان) وبلاد الروم (يقصد تركيا) . (٣)

ولم تقتصر جهوده على مساندة الإنجليز في هذه الأمور كلها ، بل كذلك عمل جاداً مخلصاً للقضاء على كل محاولة سعى إليها المسلمون لإشعال الثورة ضد المستعمرين الطغاة . ولما حاولت الحكومة البريطانية إعطاء التطعيم ضد الكوليرا ، ثار المسلمون ضد التطعيم وثار علماؤهم ، واستغل السياسيوز المسلمون هذه الفرصة لإثارة المسلمين ضد الحكم البريطاني ، ولكن القادياني بادر في الحال قاصداً إخماد هذه الثورة . وإليكم ما أورده في هذا الصدد :

" لا جناح على الحكومة البريطانية ، لأنه اختارت ذلك (أي التطعيم) بصحة النية ، بعد التجربة الكثيرة ، وبذل الأموال لدفع هذا المرض أكثر مما تبذله الدول الأخرى ، ولاسيما في مثل هذه الظروف الصعبة وفي سبيل إنقاذ الرعية . ولا يصح اي نقد أو طعن ضد الحكومة في هذا الأمر .

---

(١) الرسالة التبليغية لميرقاسم على القادياني ١٩٣/٣ .
(٢) الرسالة التبليغية ١٠/٧ .
(٣) ترياق القلوب لمرزا غلام أحمد القادياني ص ١٥

قد جرت عادة هذه الحكومة في العمل على توفير أسباب الراحة بالجد والحزم. وقد أخذت على نفسها رعايتهم كالأبناء ، ولا ترضى بأمر في مظنة الإيذاء . ولذلك وجب شكرها بما تقدمه في مساعدة الأمهات لأولادهن . أين تجدون مثل هذه الحكومة ؟ فابحثوا في الأقطار والجهات .. إنني أرى أن كل عاقل يثني عليها لمنتها عليه ويفديها بمهجته ، وذلك تقديراً لإحسانها وكثرة حسناتها . فالحمد لله على هذه النعمة .

ولذلك وجب على كل مسلم ومسلمة تقدير الشكر لهذه الحكومة، لأنها تحفظ نفوسنا وأعراضنا وأموالنا بالسياسة الحكيمة والإتصاف والعدل . ولذا حرام على كل مؤمن مقاومتها بنية الجهاد. وما هو جهاد بل هو أقبح انواع الفساد . وهل من شأن فتوة الإسلام تعويض إحسان المحسن بالحسام . (١)

لقد قلنا : أن القادياني مارس حياة العزلة في فقر وبؤس في مستهل حياته الصوفية . ولكن الإنجليز سرعان ما فتحوا له المال وأغدقوا عليه الجوائز . فتحولت حاله من العسر إلى اليسر ومن البؤس إلى الترف ومن الفقر إلى البذخ والتبذير . وإلى ذلك يشير كلامه : " لقد كنت غريباً في زوايا الخمول والكتمان . فكتب الله لي القبول بعد طول من الزمان . وأتت إليّ الأموال والتحف من الديار البعيدة والبلدان الشاسعة . فامتلأت داري منها كما تمتلئ الثمار في غصون البستان. فوالله لا أستطيع إحصائها وأطيق وزنها ، ولا أقدر على وصفها الألفاظ وقد تمت كلمة ربي صدقاً وحقاً يعرف هذا الأمر ألوف من الرجال والنساء والصبيان . (٢)

وفاته ونيله مكان التبجيل والتقديس

قلنا : أنه ولد في بلدة قاديان في سنة ١٨٣٩م ، وجهر بدعوته للمرة الأولى في سنة ١٨٨٠م ولم يلق حينذاك أذناً صاغية له ، ثم التف حوله العوام وزاد عددهم رويداً رويداً منذ عام ١٨٨٩م . لقد ادعى كسوف الشمس والقمر من أجله رمضان سنة ١٣١٢هـ الموافق سنة ١٨٩٤م ، وزعم أنهما آيتان بينتان تدلان على كونه المهدي والمسيح الموعود . ثم بلغ أتباعه حتى عام ١٩٠٧م ما يقرب من سبعين ألف نسمة ، ومعظمهم من الجهلاء من أهالي ولاية بنجاب المتخلفين من الناحية الدينية والتعليمية والغارقين في بحار الخرافات والأوهام إلى أقصى مداها . ومما لا شك فيه انه كان من أتباعه عدد غير قليل من المثقفين الجامعيين ، ولكن هؤلاء أيضاً كانوا جهلاء في الثقافة الدينية ، وكان جل معلوماتهم في العلوم والهندسة والآداب والطب والزراعة وما إلى ذلك من العلوم النظرية والعملية ، تلك التي لا تمت بصلة إلى الثقافة الدينية . فقد سجل القادياني انطباعاته وتجاربه وأفكاره في ستين كتاباً ، بعضها صغير الحجم والبعض الآخر ضخم ، وذلك في كل من اللغة العربية والأردية. ثم وافته المنية في ٢٦ من مايو سنة ١٩٠٨م بعد أن بلغ من عمره قرابة ٦٩ سنة. لقد اعتبر خصومه نهايته المؤلمة بالأمراض الوبائية هزيمة ساحقة له لأنه تحداهم تحديات أثناء مرضه ، ولكنه أخفق في تحقيقها ومات موتاً سيئاً للغاية وفي عذاب مهين .

---

(١) مواهب الرحمن ص ٢٥

(٢) مواهب الرحمن ص ٥٥

لقد دفن القادياني في مسقط رأسه (قاديان) التي تقع على بعد ستين ميلاً من لاهور عاصمة باكستان الغربية . وقد نقش على ضريحه (ميرزا غلام أحمد الموعود) يقصد بذلك المسيح الموعود .

لقد أوصى قبل وفاته أن يتولى مجلس مكون من أتباعه ومريديه اختيار خليفته . ووفقاً لهذه الوصية انتخب (مولوي نور الدين) أول خليفة له .

ومن الجدير بالملاحظة أن القاديانيين أنزلوا القادياني بعد وفاته منزلة الانبياء ، واتخذوا قبره بمثابة ضريح محمد عليه السلام . وجاء في منشورات تربوية صدرت للقاديانيين : " أن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء ينال نفس البركات التي تشيع من قبة الرسول الخضراء في المدينة المنورة . فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه من الإستمتاع بالحج الأكبر إلى قاديان . (١)

وصرّح محمود أحمد ــ أحد خلفاء القادياني ــ : " لقد بارك الله ثلاثة امكنة وجعلها مقدسة وهي : مكة ، والمدينة ، وقاديان ، حيث تلوح تجلياته سبحانه . (٢)

وكتب كاتب في مجلتهم (الفضل) الناطقة باسم القاديانية : أن معنى قوله تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ " هو مسجد قاديان ومدفن القادياني . (٣)

وذكر كاتب آخر من القاديانيين : أن الحج إلى قاديان حج ظلي (أي مجازي) إلى بيت الله الحرام.(٤)

وزعم آخر منهم : أن الحج إلى مكة دون الحج إلى قاديان عمل جاف لا جدوى فيه ولا خصوبة . لأن الحج إلى مكة اليوم لا يؤدي أهدافه ولا يحقق أغراضه ولا تجنى ثماره . (٥)

---

(١) انظر مجلة الفضل ، العدد العاشر الصادر في ديسمبر ١٩٢٢م .
(٢) نفس المصدر السابق ، العدد الصادر في ٣ سبتمبر ١٩٣٥م .
(٣) نفس المصدر ــ المجلد العشرين والعدد ٣٣ .
(٤) نفس المصدر السابق ــ المجلد العشرين العدد ٦٦ .
(٥) نفس المصدر ــ المجلد ٢١ والعدد ٣٣ .

القاديانية بعد القادياني

لقد كان القادياني مختل العقل ، ومضطرب الأفكار ، ومتناقض الأقوال . ومتخبطاً في وادي الظلام . وهذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في جميع كتبه . أنه لا يسير سيراً منطقياً في صفحة واحدة من كتبه العديدة . وهذه الظاهرة تثير فينا الشكوك حول صحة ما قال وما يقال عنه : أنه كان مناظراً وفذاً ومجادلاً عملاقاً ضد المبشرين والقساوسة والهندوس . وذلك لأن من يجهل الترتيب المنطقي في كتبه ، ولا يسير على خط واضح محدد في مؤلفاته، ولا يرتبط بنظام وخط فيما كتب : كيف يستطيع مجابهة المبشرين العمالقة وأفهامهم وقهرهم ؟ إن كتبه آية بينة على عقليته الشاذة المضطربة المتناقضة . ومن هنا كان الطبيعي أن تنشب الخلافات بين أتباعه بعد موته حول تحديد رسالته عقائده وأهدافه . فسرعان ما انقسم أتباعه قسمين : طائفة منهما تقول : أنه كان المسيح الموعود حقاً ، وأسند الله إليه مهام الرسل واختصاصاتهم . ولاشك أن لم يكن صاحب شريعة جديدة أن ناسخ الشريعة المحمدية بل كان بمثابة الأنبيء والرسل في بني اسرائيل الذين بعثوا بعد موسى . وبهذا يعرضونه في صورة الأنبياء ، وهؤلاء هم الذي يسمون أنفسهم الأحمدية . ولقد تولى هذه رياسة هذه الجماعة أو الخلافة ــ على حد تعبيرهم ــ أبناء القادياني أنفسهم ، وأنشئوا مركزهم في مدينة (ربوة) في باكستان الغربية التي صارت فيما بعد مستعمرة قاديانية لا يسكن فيها إلا القاديانيون فحسب .

ومقابل هؤلاء ظهرت جماعة أخرى سميت باللاهورية ، وهي تدعى أن وظيفة القادياني لا تعدوا مهمة التجديد في الدين المحمدي . وليس هو مهدي ولا شبيه له ولا مثيله ولا ظله . وكان زعيم هذه الطائفة مولانا محمد على اللاهوري ذلك الذي ألّف أشهر تفسير للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية . ولقد اعترف الأدباء الإنجليز أنفسهم بطول باعه في اللغة الإنجليزية وأسلوبها الأدبي الرفيع. أنه ينحو منحى المعتزلة في هذا التفسير في معظم الأحيان ، ويسير على الخط العلمي المنطقي ولا يؤمن بالخرافات التي تؤمن بها الجماعة الأولى . هو وأنصاره كلهم يسمون بالجماعة اللاهورية ، وهم الذين يديرون مركزاً كبيراً للتبشير في لندن في ووكنغ ويصدرون مجلة شهرية إنجليزية شهيرة (Islamic Revieu) أي عرض إسلامي .

وإليكم نبذ من عقائد الجماعة الأحمدية أو القاديانية الأولى المغالية التي تؤمن برسالة القادياني بأنه المسيح الموعود :

١- قال مرزا بشير الدين ــ نجل غلام أحمد القادياني وهو الخليفة الثاني ــ في كتابه (آئنة صداقت) (١) أي (مرآة الصدق) : أن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود ــ سواء أسمع اسمه أو لم يسمع ــ كافر وخارج عن حوزة الإسلام .

---

(١) انظر هذا الكتاب ص ٣٥

ثم صرح في المحكمة بأننا نؤمن بنبوة مرزا غلام أحمد القادياني ، وغير الأحمديين (يقصد عامة المسلمين ممن ينكرهم) لا يؤمنون بنبوته . ولقد صرح القرآن بأن كل من جحد نبوة أحد من الأنبياء فهو كافر . وبهذا ينطبق الكفر على غير الأحمديين يعني وهم كفار حقاً . وحكى عن أبيه امام المحكمة أنه قال : أننا نخالف المسلمين في كل شئ : في الله وفي الرسول وفي القرآن وفي الصلاة والصوم والحج والزكاة . ويوجد بيننا وبينهم خلاف جوهري في كل تلك الأمور . (١)

٢- وذكر مرزا بشير أحمد في كتابه (حقيقة النبوة) (٢) : أن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل .

وزعم في مجلة (الفضل) (٣) : أنه كان أفضل بكثير من الأنبياء ، ولا يستبعد أن يكون أفضل من جميع الأنبياء .

وأورد في نفس المجلة (٤): " ولا فرق بين أصحاب النبي محمد عليه السلام وتلاميذ مرزا غلام أحمد ، سوى أنهم رجال البعثة الأولى ، ونحن رجال البعثة الثانية " . وزعم أيضاً " أن مرزا غلام أحمد هو نفسه محمد عليه السلام ، وهو مصداق قوله : يأتي من بعدي اسمه أحمد " (٥)

الجبهات المعارضة للقاديانية في الهند وباكستان

أدلتها ومناهجها

كان من المستحيل جداً أن يدعي القادياني ادعاءات جديدة في المجتمع الإسلامي في الهند الكبرى (الهند وباكستان) ولم يلق آية معارضة من قبل المسلمين . ومن هنا أسرع العلماء والمحدثون والفقهاء إلى معارضته ، وتفنيد مزاعمه بل تكفيره وإخراجه من حوزة الإسلام . ثم قامت جبهات معارضة عديدة على طول الهند وعرضها . ومما لاشك فيه أنه كسب شهرة كبرى من جراء هذه المعارضة ، ألا أن دعوته قد تلقت ضربة قاسية وفشلاً ذريعاً بهذا السبب مما أدى إلى وقف تيارها الجارف ، ولم يجترئ الجهلاء بعدئذ من الإقتراب إلى القادياني خشية المجتمع الإسلامي السائد الذي كان يخرج كل من اقترب منه واعجب به من قائمة المسلمين ويقاطعه بحجة أنه ارتد عن الإسلام وانضم إلى صفوف المرتدين أو الكفار والمشركين .

---

(١) مجلة الفضل الصادرة في ٤ يوليو ١٩٣١م .
(٢) انظر : ص ٢٥٧ .
(٣) انظر المجلد الرابع عشر ــ الصادر في ٢٩ ابريل ١٩٢٧ م .
(٤) نفس المصدر : العدد ٩٢ الصادر في ١٩١٨/٥/٢٨ م .
(٥) أنوار الخلافة ص ٢١ .

ولا ريب أن سلاح العلماء كان قوياً جباراً في كل العصور وهو تكفيرهم كل أصحاب الزيغ والمعاندين والشواذ من الناس في مجال العقيدة والفكر وطردهم من المجتمع الإسلامي لقد اوقف هذا السلاح تدفق الناس على القاديانية بل شوّه وجوه القاديانيين ، وأصبحت كلمة (القادياني) معابة حتى القاديانيين ، لأنه كانوا يستطيعون غيظاً إذا لقبوا بالقاديانيين بل يفضلون تسميتهم بالأحمديين نسبة إلى أحمد القادياني باني القاديانية .

وماذا كانت أدلة العلماء لتكفيرهم ؟ لقد أجمع العلماء كلهم على اختلاف مذاهبهم الفقهية وعقائدهم الكلامية من الأحناف والوهابيين والمبتدعين بل أن الشيعة على أن القادياني كافر ، لأنه ادعى النبوة ، واعتبر نفسه المسيح الموعود . وهذا باطل بل كفر وضلال . لقد أوردوا جميع الأحاديث الواردة في كتب السنة تلك التي تدل على أن المسيح قد رفع إلى السماء ، وسوف ينزل بقرب القيامة نزولاً حقيقياً ماديا ً كما سنذكر تلك الأحاديث فيما بعد . وأكدوا كذلك أن معنى قوله تعالى (إني متوفيك) هو أن الله سوف يكمل عمر عيسى ويستوفيه بعد نزوله من السماء ، لأنه رفع إلى السماء قبل استكماله عمره .

لقد ألّف العلماء كتباً عديدة في تفنيد مزاعم القادياني وكفّروه فيها بالإجماع . ولا يمكننا هنا حصر تلك الجبهات أو أولئك العلماء وكتبهم ، ولكن كان من أبرزهم الشيخ ثناء الله الأمرتسري والشيخ محمد على المنكيري والشيخ انور شاه الكشميري ، وكان أقواهم جميعاً الخطيب البارع الشيخ عطاء الله البخاري. لقد ركّز هؤلاء كلهم جهودهم إلى أن المسيح عليه السلام لم يمت مطلقاً ، بل رفع إلى المساء ، وسوف ينزل قرب القيامة نزولاً حقيقياً . وكذلك تناولوا حياة القادياني وسلوكه منذ صغر سنه حتى شيخوخته، وعرضوه على ميزان النقد ليعرف الناس : مدى صحة دعواه ، ويتأكدوا أن مثل هذا الرجل الشاذ المنحرف في أخلاقه وسلوكه وأفكاره لا يستحق مطلقاً أن يسمى عالماً ، وكيف أذا ادعى بأنه النبي أو المسيح الموعود ؟ وكان قصدهم في كل ذلك : أن عيسى عليه السلام كان نبياً ، وسوف ينزل نبياً ، وإن اختلفت وظيفته في المرة الثانية . وإذا ادعى القادياني أنه هو المسيح الموعود ، فإنه في الحقيقة يدعي النبوة. فكل مدعِ النبوة أو المتنبي مرتد كافر ، ينضم إلى صف مسيلمة الكذاب أول متنبي في تاريخ الإسلام . فينبغي للمسلمين محاربة هذا الرجل الكذاب المفتري كما حارب سيدنا أبو بكر مسيلمة الكذاب . وهو من دون شك يسعى إلى فتح باب النبوة من جديد بعد إغلاقه على محمد عليه السلام إلى الأبد ، لأنه كان خاتم النبيين ، ولا نبي بعده ، ولا يستهدف هذا الرجل إلا خلق دين جديد داخل الإسلام لنسخ إسلام محمد العربي ، وصرف أنظار الناس من مكة إلى قاديان مسقط رأسه ومثواه الأخير ليحجوا إليها الناس من أتباعه من كل حدب وصوب .

وعلى هذا النهج سار جميع العلماء فيما بعد وأجمعوا كلهم على تكفير القادياني والقاديانية. ولما قامت دولة باكستان عام ١٩٤٧م وصارت باكستان الغربية المركز الرئيسي للقاديانيين، بل مركز الخلافة لهم ــ على حد تعبيرهم ــ وساعدهم السيد ظفرالله خان ــ أو وزير خارجية ف باكستان ومن زعماء القاديانيين الكبار ــ على توطيد مركزهم في باكستان واحتلالهم مناصب حساسة في دولة باكستان . ومن هنا ثار المسلمون الباكستانيون على القاديانيين عام ١٩٥٣م ، وطالبوا من الحكومة أن تقرر أن القاديانيين أقلية غير مسلمة كالمسيحيين والهندوس ، وتعطيهم الحقوق الواجبة ، وتحدد لهم الأماكن في

البرلمانات المحلية والركزية كما فعلت بالنسبة إلى الأقليات الأخرى . ثم صاحب هذه الثورة اضطرابات دامية ومذبحة كبرى قتل فيها آلالاف من الجانبين من المسلمين والقاديانيين على السواء ، فاضطرت الحكومة إلى فرض الأحكام العرفية على البلاد ، واعتقلت زعماء المسلمين الذين أثاروا هذه المشكلة ، وعلى رأسهم الشيخ أبي الأعلى المودودي زعيم الجماعة الإسلامية وحاكمتهم محاكمة عسكرية واصدرت حكم الإعدام عليهم ، ولكن هذا الحكم لم ينفذ ، بل خفف فيما بعد إلى السجن لمدة أربعة عشر سنة ، ثم أطلق سراحهم جميعاً بعد بضع سنين فقط قضوها ف السجن .

ولكن الشاعر الفيلسوف محمد أقبال سلك أقوى المناهج وأدقها لمهاجمة القاديانية وأبطال مزاعمها . فقد حمله على الخروج للرد على القاديانية عدد من المقالات التي نشرها زعيم الهند الراحل جواهر لال نهرو في إحدى الجرائد الهندوكية الناطقة باللغة الإنجليزية ، وأعرب فيها عن دهشته من موقف المسلمين من القاديانية واستنكره ، لأن القاديانية على كل حال نبعت من تراب الهند وينبغي للمسلمين بل الهنود كلهم تشجيعها وتقديرها من الناحية القومية . فقد رد أقبال على نهرو في مقال طويل نشرته جريدة (استات مان ــ State Man) الاطقة باللغة الإنجليزية في عددها الصادر في يونيو سنة ١٩٣٥م . وقد ذكر أقبال في هذا المقال :

أن النظم الإجتماعية والسياسية التي وطد الإسلام دعائمها خالدة خلود الدهر وكاملة بدون نقص او تقصصير . ولذا لا نحتاج أبداً إلى وحي أو إلهام بعد محمد عليه السلام يترتب على رفضه الكفر . فإذا ادعى أحد أنه يوحى إليه أو أنه نبي بعد محمد عليه السلام فهو مرتد وخارج عن الإسلام .

ويعتقد القاديانيون أن مؤسس دينهم كان ينزل عليه الوحي، وعلى هذا يكفرون المسلمين في العالم كله بسبب انكارهم رسالة القادياني . ومما استدل به القادياني ــ على طريقة بعض المتكلمين المسلمين في القرون الوسطى ــ أن النبي الذي لا تقدر قواه الروحية على توليد أنبياء جدد ستكون رسالته ناقصة . وبهذا يعرض القادياني نفسه على أنه نبي بعد محمد عليه السلام . فإذا وجه إليهم سؤال على أساس زعمه هو : هل هذه القوى الروحية المولدة تقدر على توليد نبي واحد فقط (وهو القادياني) أو اكثر من نبي أجابوا على ذلك : بأنها لا تولد أكثر من نبي واحد .

ومن هنا يذهبون إلى أن القادياني الذي تولد ــ على حد زعمه ــ من نور محمد عليه السلام هو خاتم الأنبياء .

ولم يشعر القاديانيون بخطورة عقيدتهم هذه ونتائجها في التاريخ الإسلامي كله وفي تاريخ آسيا وحضارتها بصفة خاصة . ولذا قالوا : أنه إذا لم يبلغ أحد من أتباع محمد مكانة النبوة فهو رجل ناقص. ويبدو لنا ــ وأنا أدرس القادياني من الناحية النفسية على ضوء دعواه للنبوة ــ أن محاولته في اثبات القوة الروحية المولدة لمحمد عليه السلام تلك التي تقدر على خلق الأنبياء ، ما هي إلا لخلق نبي واحد فقط ألا وهو القادياني نفسه ثم يرفض ان محمداً عليه السلام خاتم الأنبياء . وبهذا يحاول هذا الرجل اثبات شرعية نبوته ورسالته بطريق سري .

ويدّعي هذا الرجل أنه مظهر لرسول الله ﷺ ، ويقصد به أنه إذا أصبح خاتم الأنبياء فلا يرجع هذا الفضل إلا للرسول عليه السلام ، لأه مجرد مظهر من مظاهر محمد عليه السلام .

ومن البديهي أن كلمة (البروز) أو (مظهر من المظاهر) ، لا تدل أبداً على التشابه أو التماثل كما زعم القادياني ، لأن المظهر يختلف عن الحقيقة التي يبرز منها . ولن يكون المظهر بمعنى الحقيقة إلا في تصور (الأوتار ــ Artar) أو التقمص فقط . وإذا قصد بالمظهر الالتشابه الحقيقي في الصفات الروحية فحسب فإنه يضعف دعواه . فإذا قصد به تصور (الأوتار) فلا يبطل دعواه . ولكن عقيدته حينئذ تشبه عقيدة المجوس .

وينبغي في دراستنا لمصادر القاديانية ومنابعها أن نعرف مدى أثر المجوسية والتصوف الإسلامي في القاديانية . لأن الدراسة ستكون مشوقة جداً ، ولكن المجل لا يتسع لي الآن لمثل هذه الدراسة . ولذا ينبغي لي القول بأن الحقيقة القاديانية وأصلها ومصدرها تكمن تحت ستار التصوف والعقيدة اللاهوتية للقرون الوسطى . وقد ظن العلماء اليهود أن القاديانية هي مجرد نزعة لاهوتية ، فخرجوا بأسلحتهم اللاهوتية لمحاربتها ، ولكنني أرى أن هذا الأسلوب للمحاربة لا يجدي أبداً ، ولذلك لم يحرز العلماء نجاحاً كبيراً في معركتهم .

وإذا حللنا الهامات باني القاديانية بدقة وعناية أمكننا دراسة نفسية هذا الرجل . وبهذا الصدد يحسن بي أن أذكر أن مجموعة من الإلهامات لباني القاديانية التي جمعها ونظرها الشيخ منظور الهي ستكون مادة غزية ومفتاحاً لدراسة القادياني النفسية . وأرجوا أن يقوم أحد طلاب علم النفس بدراسة جديدة لهذا الكتاب . فإذا هذا الطالب القرين معياراً للدراسة القاديانية ــ وبناء على بعض الأسباب يتحتم عليه اتخاذ القرآن مقياساً لهذه الدراسة ، ولا يمكنني الآن شرح هذه الأسباب ــ ثم وسع نطاق دراسته إلى معاصريه المتصوفين الهندوكين أمثال رام كرشنا البنغالي وتجاربه الصوفية سيندهش هذا الطالب بوجود التجاوب المدهش بينهما .

كأن المسلمون السياسيون يتطلعون إلى علمائهم في أن يوجدوا منهجاً جديداً اشرح دينهم في الظروف الراهنة والتطورات الطارئة . فبذلوا محاولات لإقناعهم في هذا الصدد . ولكن العلماء لم يتكنوا من تحقيق رغباتهم ، لأن المنطق اليوناني الذي سيطر على عقولهم منذ مئات السنين لم يمكنهم ذلك . لأنه لم يكن في استطاعة هذا المنطق في هذه الظروف أن يخطو خطوة إيجابية نحو الأمام . وهذا الأمر كان ممكناً فقط على طريق السياسة أو تفسير جديد للقرآن والحديث . وفي كلا الوجهين لم يكن في وسعهم أبداً التأثير في الشعب . فإذن لم يكن لهم بد من اتخاذ وسيلة واحدة إلا وهي الدلائل الربانية ليأسروا بها قلب الشعب الهندي الذي رسخت في قلبه الحماسة الدينية واندفاعاتها . فالعقيدة الراسخة المتوغلة في قلوب أناء الشعب الهندي لم يكن من الميسور أبداً محوها أو غرس أفكار جديدة فيها على ضوء التطورات الحديثة إلا عن طريق الوحي والإلهام فقط .

ان أقبالاً يوجه هنا نقداً شديداً إلى منهج مشايخ الهند من المحدثين والفقهاء والمفتين في معالجتهم القاديانية . يرى أقبال أنهم مولعين بمنهج المنطق اليوناني البائد ، ويقصد به انهم مفتونين بالمناظرة والمجادلة على الطرق العقيمة البالية التي تفحم الخصوم مئقتاً بسبب تلاعب المناظر بالكلمات والعبارات والمصطلحات ، ولكنها لا تقنع الخصوم على الإطلاق . لأنها ليست المنهج العلمي الأكاديمي الذي ينتهجه العلماء الغرب الآن . إن المنهج العلمي الحديث ، يحتاج إلى دراسة مستفيضة للتاريخ والمجتمع وعلم النفس . وحينئذ يستطيع الباحث مناقشة خصومه مناقشة علمية دقيقة . ولم ينتهج العلماء لسوء الحظ هذا المنهج لأنهم كانوا يجهلونه . ولم يبق في أيديهم سوى سلاح واحد ليشهروه في وجه خصومهم وهو الفتوى الدينية . وكانوا يعرفون جيداً مدى عمق الحماسة الدينية في الشعب الإسلامي الهندي . فأثاروا هذه الحماسة ضد القاديانية فأفتوا بأن القادياني ينصب نفسه نبياً بعد خاتم الأنبياء ، ويدعى بالوحي ، بعد انتهاء الوحي بعد محمد عليه السلام ، ويشرع الشرائع بعد اتمامها على يد نبينا محمد عليه السلام ، وينشئ ديناً جديداً بعد أن ألغى الإسلام جميع الأديان ، وأعلن القرآن (إن الدين عند الله الإسلام) ، فكفروه على هذا الأساس فوافقت جماهير المسلمين على هذه الفتوى ، وأخرجوا القادياني منن دائرة الإسلام، وكفروا جميع أصحابه ، ووضعوا أسمائهم في قائمة المرتدين عن الإسلام. ومن هنـ لم يتجاوز أحدهم أمور الفقه ، وابتعدوا كل البعد عن المنهج العلمي الحديث ، وفشوا في اقناع الخصوم وكذلك لم يتمكنوا من إيصالهم إلى باب الإسلام مرة أخرى .

منـاقشة مبادئ القاديانية وأســسها

وفي مناقشتنا الآن للمبادئ القاديانية وأسسها سوف نسير على الخط الذي ارتضاه ورسمه محمد أقبال واعتبره مجدياً مثمراً إلى أقصى حدود . واعتقد أن هذه المحاولة ستكون تجديداً في الفكر الإسلامي بصفة عامة وفي الرد على القاديانية بصفة خاصة .

ومن الجدير بالذكر أن المستشرقين قد نظروا إلى أسس القادياني بنفس منظار محمد أقبال . وإليكم ما أورده (جولد تسيهر) ــ شيخ المستشرقين ــ في هذا الصدد :

" وقد أضاف (أي القادياني) إلى دعواه المزدوجة ــ بأنه عيسى الموعود وأنه المهدي المنتظر ــ زعماً ثالثاً زاده من أجل إخوانه الهنود وهو أنه (الأوتار) ، أي أن الألوهية حلت في جسده . وهو لا يرمي فحسب في تحقيق آمال الإسلام في فوزه الشامل على سائر الأقطار المعمورة في آخر الزمان فحسب ، وإنما يعبر عن رسالته العالمية التي يتوجه بها إلى الإنسانية جمعاء .

غير أن مهدية أحمد تخالف نظرية المهدي كما جائت في الروايات الإسلامي . فهي تتسم بالطابع السلمي ، أما السنة الإسلامية تصور المهدي قائداً حربياً يقاتل الكفار بالسيف وتلوث طريقه بقع الدماء ، ويطلق عليه الشيعة ــ مع ما له عندهم من ألقاب آخر ــ لقب صاحب السيف .

غير أن النبي الجديد أمير من أمراء السلام ، إذ أنكر الجهاد وأسقطه من الفرائض الإسلامية ، وحبب إلى أتباعه السلم والتسامح ونهاهم عن التعصب ، وجد أنه يبعث في نفوسهم ميلاً للعلم والثقافة .

وكان يستشهد في تعاليمه بشواهد من العهد القديم والجديد ، وآيات من القرآن والصحاح من الحديث ، وداب على أن يكون دائماً على وفاق ظاهري مع ما جاء به في القرآن . أما الأحاديث فكان كثير الشك فيها ، دائب النقد لاختيار نصيبها من الصحة ، وترتب على ذلك أنه ابتعد في نقط كثيرة عن المعالم الرسمية للإسلام السني بالقدر الذي تستند فيه هذه المعالم على الحديث . واشتملت دعوته أيضاً بالعناية بالتربية والتعليم ، ووجدت اللغة العبرية ذاتها مكاناً في برنامج المواد الذي حبذ دراستها " . (١)

ويقول البروفيسور جب في هذا الصدد : " أنجبت الهند طائفة جديدة مسلمة يمكن بان نقول بأنه نجحت ، وهي الحركة الاحمدية التي ولدت على شكل إصلاح ليبرالي يدعو الذين فقدوا إيمانهم بالإسلام القديم إلى التعلق بمبدأ متجدد . وكان مؤسس هذه الحركة يدعى (مرزا غلام أحمد) وكان يعتبر نفسه مهدي الإسلام ، ونبي المسيحين بالإضافة إلى كونه تقمصاً عن كرشنا (شخصية أسطورية هندوكية) . وبعد موته عام ١٩٠٨ انفصل عن الحركة أكثر الأعضاء ليبرالية ورفضوا تقليدياً كل ما يفرقهم عن المسلمين الليبراليين العاديين بما في ذلك النبي الأصلي (يقصد الجماعة اللاهورية) .

وبفضل نشاطهم التبشيري القوي لا في الهند فحسب وإنما في انجلترا وأمريكا وأفريقيا الجنوبية والشرقية الغربية ، حاز هؤلاء الأحمديون سمعة طيبة في نظر السنّيين على الرغم من المحافظين المتعصبين لا يزالون ينظرون إليهم بحذر وريبة بسبب أصلهم المشكوك فيه بالإضافة إلى مبادئهم الليبرالية .

أما الأحمديون الأصلين أو القاديانيون فإنهم انصرفوا كذلك إلى العمل التبشيري في انجلترا وأمريكا بالإضافة إلى الهند . ولكل فرع جامع في ضواحي لندن يستضيفون فيه لا الهنود فحسب وإنما كذلك العرب والإيرانيين والأفغان وغيرهم من المسلمين وحتى الوهابين . إلا أن الأحمدية الإصلية (القاديانية) بقيت في الهند طائفة منفصلة تمام الإستقلال ، لها جوامعها الخاصة ومدارسها ومحاكمها ولها سلطتها المذهبية الخاصة أي خلافة المؤسس . ومن وقت لآخر نشبت الخلافات بين الاحمديين والمسلمين . وقد قتل عدد من المبشرين الأحمديين في أفغانستان . إلا ان المذهب الأحمدي على وجه الإجمال ليس إلا عنصراً ذا أهمية ضئيلة في الإسلام الهندي كما أن نفوذه يعتبر محدوداً جداً . (٢)

وفي دراستنا للقاديانية ينبغي لنا أن نناقش الأمور الآتية :

١- أثر نظريتي وحدة الوجود والتقمس في تكوين القادياني العقلي والفكري ومصادرهما وآثارهما في الفرق الإسلامية الأولى .
٢- حقيقة نزول عيسى من السماء وقيمته واهميته في الشريعة الإسلامية .
٣- نظرية ظهور المهدي في الإسلام أساسها وحقيقتها .
٤- حقيقة النبوة والأنبياء في الإسلام
٥- معنى التجديد والمجددين في الإسلام

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٩٢ .
(٢) الإتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٨١ .

وحدة الوجود والتقمص

لقد ذكرنا في كتابنا عن (الهند القديمة : حضاراتها ودياناتها) أن ظهرية وحدة الوجود قد ظهرت في الهند خلال عام ٦٠٠ ق.م وسجلها الكتاب الهندوكي المشهور الذي ألّف في هذه الأونة وهو (اليوبانيشاد) . تقول نظرية وحدة الوجود الهندوكية : أن الإنسان والحيوانات والكائنات كلها أجزاء أو شظايا لبراهما (رب العالمين) ، ذلك الذي خلقهم جميعاً . وبهذا يكون براهما والكائنات كلاهما وجود واحد وشئ واحد ، ولن يتصور وجود انسان والكائنات خارج وجود براهما . ثم أن الله سبحانه يكون واحداً إذاً تصورنا وجوده منفرداً ، ويكون مركباً من أجزاء إذا أضفنا إليه الإنسان والمخلوقات والكائنات .

وهذه النظرية هي التي أخذت طريقها فيما بعد إلى اليونان ، ثم تجلّت في مدرسة الأفلاطونية الحديثة التي أنشئت في الإسكندرية في القرن الثالث الميلادي . ومن هذه المدارس أخذت طريقها إلى التصوف الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري تقريباً . وكان أروع من مثّل هذه النظرية في التصوف الإسلامي هو منصور الحلاج ذلك الذي أعدمه العلماء في بغداد بناءً على هذه النظرية الملحدة في نظرهم .

وكذلك أوردنا في كتابنا المذكور أن نظرية التقمص أو التجسد (وهو يسمى بالأوتار في اللغات الهندية) قد ظهرت في الهند خلال عام ٨٠٠ ق.م لأول مرة ، ثم نالت الشهرة منذ عام ٤٠٠ ق.م وقد ظهرت هذه النظرية عند الهنود مقابل نظرية النبوة والأنبياء عند الساميين في الشرق الاوسط . وكان قصدهم بالأوتار أن رب العالمين يتجسد في انسان ويتجلى فيه لهداية البشرية . وبهذا كانت شخصياتهم الأسطورية مثل ، كرشنا وراما وبوذا آلهة ، لأنه الله قد تجسد فيهم . ولما انتشرت البوذية في أنحاء العالم واتخذت طريقها إلى الإمبراطورية اليونانية ثم الرومانية وتوغلت في نفوسهم ، أسبغ الرومانيون هذه النظرية على عيسى عليه السلام وذلك بعد أن دانوا بالمسيحية . ومن هنا انتقلت عقيدة التجسد إلى المسيحية كما أوردنا التفاصيل والأدلة في كتابنا المذكور .

وإليكم ما وارده رجال الدين المسيحيين المعاصرين فيما يتعلق بنشوء نظرية التجسد عند المسحيين وتطورها :

يقول الأب فرنسيس فريبه : أما القديس ايريناوس فهو أول من استعمل لفظ (تجسد) .وقد تناوله بعده الآباء المدافعون وجرت على أقلامهم في كثرة حتى استقرت أخيراً العبارة في منتصف الجيل الثاني .

ولا فرق عند إيريناوس وبين القولين : الكلمة صار جسداً أو صار انساناً . فكلاهما يعبر عن المعنى الواحد .

وقال المؤلف أيضاً : فلئن رجّح الآباء هذا اللفظ على غيره من الألفاظ في كتاباتهم فلأنه يدل دلالة واضحة على عظمة محبة الله للإنسان . لقد اتخذ الله جسد الإنسان ليخلص به الإنسان .

ثم إنه يعبر تعبيراً قوياً عن حقيقة جسد المسيح . وأخيراً لأن الجسد كان مصدر الخطيئة فوجب ان يكون مصدر الخلاص أيضاً .

وقد يؤخذ لفظ التجسد من وجهتين :

أولاً : بالمعنى الفاعلي : أي الفعل الذي رفع الله به طبيعة بشرية معينة قد تكونت في أحشاء العذراء مريم البتول وجعلها تقوم في (الأقنوم) (أي الشخص) الثاني من الثالوث الأقدس .

ثانياً : بالمعنى الإنفعالي : أي الإتحاد الفريد والعجيب الذي تم بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية في أقنوم واحد وهو أقنوم الكلمة ابن الله . فالكلمة الإلهي ــ دون أن يفقد شخصيته الإلهية ــ اتخذت طبيعة انسانية كاملة . (١)

ومما يؤسف له أن هذه النظرية أخذت طريقها فيما بعد إلى الإسلام عن طريق بعض الفرق الإسلامية : يقول الإمام بن حزم أثناء معالجته نظرية التجسد بين المسلمين :

" واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي إلى الإسلام فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية . فإن من الصوفية من يقول : أن من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى . وبلغنا أن بنيسابور اليوم في عصرنا (أي في القرن الخامس الهجري إذ توفى ابن حزم في عام ٤٥٦ هـ) رجل يكنى أبا سعيد أبا الخير . هكذا كان من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال مرة ويصلي في اليوم ألف ركعة ومرة لا يصلي : لا فريضة ولا نافلة . وهذا كفر محض وتعوّذ بالله من الضلال " . (٢)

ثم يفيض البحث في هذا الموضوع قائلاً " والقسم الثاني من الفرق الغالية الذين يقولون بالألوهية لغير الله عز وجل . فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري ــ أتوا إلى علي بن أبي طالب ــ فقالوا ــ مشافهة ــ : أنت هو . فقال لهم : ومن هو ؟ فقالوا : أنت الله . فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار . فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار : الآن صح عندنا أنه الله . لأنه لا يعذب بالنار إلا الله . وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبرا

يريد (قنبرا) مولاه وهو الذي تول طرحهم في النار . نعوذ بالله من أن نفتتن . بمخلوق أو يفتتن بنا مخلوق فيما جل أو دق .

---

(١) التجسد ترجمة الأب لويس أبادير ص ٢٣ ــ ٢٥ .
(٢) الفصل في الملل والنحل ٢٩/٤ .

فإن محنة أبي الحسن رضي الله عنه من بين أصحابه رضي الله عنه كمحنة عيسى عليه السلام بين أصحابه من الرسل عليهم السلام . وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون (العليانية).

وقال طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ، أن محمداً عليه السلام هو الله ــ تعالى الله عن كفرهم ــ ومن هؤلاء : كان البهنكي والفياض بن علي . وله في هذا المعنى كتاب سماه (القسطاس) ، وأبوه الكاتب المشهور الذي كتب لإسحاق بن كنداج أيام ولايته ، ثم لأمير المؤمنين المعتضد . وفيه يقول (البحتري) القصدية المشهورة التي أولها :

شط من ساكن الغرير مرارة وطوته البلاد والله حاره

والفياض هذا ــ لعنه الله ــ قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب لكونه من جملة من سعى به أيام المعتضد ، والقصة مشهورة .

وفرقة قالت بألوهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبياً نبياً إلى محمد عليه السلام . ثم بألوهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن جعفر بن محمد ووقفوا ها هنا . وأعلنت الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة في ولاي عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في (أزرداردية) محرمين ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر . قال بن عياش وغيره : كأني أنظر إليهم يومئذ . فخرج إليه عيسى بنموسى وقاتلوه فقتلهم واصطلمهم .

ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالألوهية لمحمد بن اسماعيل ابن جعفر بن محمد وهم القرامطة . وفيهم من قال بألوهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجبائع وابناؤه من بعده . ومنهم من قال بألوهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور . وقالت طائفة منهم بألوهية عبيد بن الله ، ثم الولاة من ولده إلى يومنا هذا .

وقالت طائفة بألوهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب ــ مولى بني أسد ــ بالكوفة وكثر عددهم بها وتجاوزا الألوف . وقالوا : هو إله ، وجعفر بن محمد إله إلا أن أبا الخطاب أكبر منه . وكانوا يقولون : جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحباؤه . وكانوا يقولون : أنهم لا يموتون ولكنهم يرفعون إلى السماء . وأشبه على الناس بهذا الشيخ الذي ترون .

ثم قالت طائفة منهم بألوهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه . وكان من أصحاب أبي الخطاب لعنهم الله أجمعين .

وقالت طائفة بألوهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعي الوزير بن حامد بن العباس ــ رحمه الله ــ أيام المقتدر .

وقالت طائفة بألوهية محمد بن علي السمعاني الكاتب المقتول ببغداد أيام الراضي. وكان أمر أصحابه أن يقسح الأرفع قدراً منهم به ليولج فيه النور . وكل هذه الفرق ترى الإشتراك في النساء . وقالت طائفة منهم بألوهية (شباش المقيم) في وقتنا هذا حياً بالبصرة .

وقالت طائفة منهم بألوهية أبي مسلم السراج ، ثم قالت طائفة منهم بألوهية المقنع الأعور القصار القائل بثأر أبي مسلم واسم هذا القصار هاشم . وقتل لعنه الله أيام المنصور وأعلنوا بذلك . فخرج المنصور فقتلهم وأفناهم فالي لعنه الله .

وقالت الرنودية بألوهية أبي جعفر المنصور . وقالت طائفة منهم بألوهية عبد الله بن الحزب الكندي وعبدوه .

وطائفة ألى اليوم تعرف بالحزبية . ومن السبابية القائلين بألوهية علي . وطائفة تدعى النصرية . وقد غلبوا في وقتنا هذا على جند الأردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة " .

وقالت النصرية ــ التي آمنت بألوهية على بن أبي طالب ــ : " ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي ــ قاتل علي رضي الله عنه ــ أفضل أهل الأرض وأكرمهم في الآخرة ، لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فأعجبوا بهذا الجنون " . (١)

ويقول بن خلدون في فرقة من الشيعة تسمى الكيسانية : " ومنهم (أي من الكيسانية) طوائف يسمون الغلاة. تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة : أما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حل في ذاته البشرية . وهو قول بالحلول يوفق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام . ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته والبراءة منه . وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه مثل هذا عنه " . (٢)

ولكن الطائفة الإسماعيلية من الشيعة التي تتمثل حالياً في جماعتي (آغاخان) والبهرا للشيخ برهان الدين بالهند أكثر الطوائف الإسلامية إيماناً بالتجسد وتطبيقها في عقائدها وسلوكها ومنهج دعوتها . وإليكم ما أورده المستشرق الإنجليزي الشهير (البروفيسور سيرتوماس أرنولد) ــ أستاذ الفيلسوف محمد أقبال ــ : " وقد مرنوا على أن يستحوذوا على عقول الناس جميعاً ، وأن يجذبوا جميع الطبقات إلى رئيس الدعوة الإسماعيلية وأن يستخدموا تعاليهم عن طريق التفاهم مع كل فرد بلغته الخاصة وعلى مقدار عقله . وقد استطاع هؤلاء الدعاة أن يأسروا العامة بما كانوا يقومون به من الأعمال الخارقة للمألوف والتي كانت في اعينهم كمعجزات والتي كانت تثير في نفوسهم حب الإستطلاع .

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٢٧/٤ ــ ٢٩ .
(٢) مقدمة بن خلدون ص ١٠٨ (الطبعة الخيرية)

وكانوا يتظاهرون للأتقياء بالتقوى والتحمس الديني ، ويظهرون للزهاد المثل الأعلى للفضيلة والحماس الديني، ويجلون للوصفيين ما غمض عليهم من التعاليم المعروفة ، ويستخدمون مع من يريدون ادخاله في مذهبهم مراتب مختلفة تتناسب مع عقولهم .

ومن ثم أخذ هؤلاء وأولئك يوحون إلى المتشوقين بظهور منقذ يصلح الأديان الكثيرة السائدة في ذلك الحين ، فأعلنوا للمسلمين قرب ظهور المهدي المنتظر ولليهود ظهور المسيح ، وللنصارى المعزي . بيد أنهم لقنوهم أن ما يطمح إليه كل فرد لا يمكن أن يتحقق إلى برجعة على المنقذ الأكبر . وكان على الداعي الإسماعيلي أن يظهر بمظهر المتحمس لجميع العقائد الشيعية ويثير قسوة السنين لعلي وأولاده ، ويجاهر بالحط من شأن الخلفاء السنيين . فإذا ما مهد السبيل على هذا النحو ، وجب عليه أن ينتقل على وفق ما تتطلبه المذاهب الشيعية إلى مبادئ الطائفة الإسماعيلية العميقة في التأويل .

وإذا ما خاطب اليهودي أظهر احتقاره للنصارى والمسلمين ، ووافق المدعو في تطلعه إلى قرب المسيح المنتظر . ولكنه يتدرج معه في الحديث حتى يعتقد أن هذا المسيح لا يمكن أن يكون سوى علي بن أبي طالب وهو المهدي الأكبر عند طائفة الإسماعيلية .

وإذا حاول جذب المسيحي وجب ان ينحو بما للأئمة على مكابرة وجهل المسلمين ، وأن يعلن احترامه لما جاء به الدين من عقائد . ولكنه يشير في شئ من الحذر إلى أن هذه العقائد عبارة عن رموز ، وأنها ذات معانٍ عميقة لا يجد المرء وسيلة للوصول إليها إلا عن طريق المذهب الإسماعيلي . كما يجب عليه أيضاً أن يشير في حذر وحرص إلى أن المسيحين قد أساءوا نوعاً تأويل نظرية المسيح المنتظر: (أي : الفرقليط Paraclote) ، وأن هذا المسيح المنتظر لا يوجد إلى في شخص علي بن أبي طالب.

وعلى هذا النحو حاول دعاة الإسماعيلية الذين اتخذوا طريقهم إلى بلاد الهند أن يحملوا الهندوكيين على قبول عقائدهم عن طريق اظهار علي بن أبي طالب بمظهر (أوتار وشنو العاشر المنتظر) (أن وشنو سيد الآلهة عند الهندوس ذلك الذي يتجسد في الإنسان) ، الذي يجب أن يأتي من ناحية الغرب . أي من الموت Alamut وكذلك كتبوا عن (مهدي برانا) (ان برانا كتاب مقدس للهندوس يتضمن الأساطير) ونظموا الأشعار في تقليد (ألوا ما كارين) أو (الساكتس) ذوي الأيدي اليسرى . وبهذا تهيأت عقولهم لقبول مذهب الإسماعيلية الباطني أو التأويلي " . (١)

ولم تقتصر جهود الشيعة على اتخاذ نظرية الأوتار الهندوكية ، بل كذلك آمنت بنظرية التناسخ الهندوكية طبقتها على أئمتها ، وهي عبارة عن انتقال الروح بعد مفارقة جسدها إلى جسد آخر . يقول بن خلدون في هذا الصدد : " ومنهم (أي من الشيعة) من يقول : أن كمال الامام لا يكون لغيره . فإذا مات انتقلت روحه إلى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ . ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الأئمة ، لا يتجاوزه إلى غيره بحسب من لذلك عندهم . وهؤلاء هم الواقفية " . (٢)

---

(١) انظر كتابه : الدعوة إلى الإسلام ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٨ .

الأرض الخلفية لمزاعم القادياني

من المعروف أن القادياني كان صوفياً من مذهب وحدة الوجود من الدرجة الأولى ، ثم درس الديانات المشهورة : اليهودية والهندوكية والبوذية والملل والنحل في الإسلام ، الأمر الذي مكنه من مناظرة المبشرين والقساوسة الهندوس في مستهل حياته كما قلنا . فإذا ادعى القادياني فيما بعد أنه هو المسيح الموعود وفق نظرية الأوتار ، فلم يكن هذا الأمر بدعاً بالنسبة إليه ، لأنه قد وجد هذه النظرية قد تسربت إلى الإسلام منذ القرن الأول الهجري ، ثم تغلغلت في نفوس الشيعة وتجلت في مظاهر عديدة في حياتهم وعقائدهم ودعاوتهم . وكان القادياني على علم تام أنه إذا ادعى بأنه هو المسيح الموعود ، لا ينافي ذلك عقيدة الإسلام لأنه يلجأ إلى التأويل ، ويقول بأنه هو المسيح الحقيقي ، بل يؤكد أن المسيح الحقيقي تجلى فيه بصفاته ومهامه وفق نظرية التقمص . وكان يعلم جيداً من الناحسة الأخرى أن هذه الدعوى مهما كانت خطيرة ، فهي تقل بخطورتها بمراحل عن دعوى الشيعة بأن الله قد تجسد في محمد عليه السلام ، ثم في علي بن أبي طالب ، ثم في أئمتهم كما سبق كلام بن حزم في هذا المجال . وبسبب طول عكوفه على دراسة الفرق الإسلامية القديمة قد عرف جيداً نظرية المهدية التي ظهرت في الإسلام واتخذت أشكالاً وألواناً طوال التاريخ الإسلامي .

ومن ناحية أخرى فإن نظرية الأوتار فهي نقطة الإتصال بينه وبين كثير من الصوفية الهندوسي الذين أشار إليهم محمد أقبال ، أولئك الذين يشابهون القادياني في التجارب الصوفية ونتائجها ودما ترتب على ذلك من المظاهر والمزاعم .

نظرية ظهور المهدي في الإسلام

ظهرت عقيدة ظهور المهدي بين الشيعة لأول مرة. كانت الشيعة تقصد بذلك أن إماماً منتظراً سيأتي فيملأ الأرض عدلاً بعد ان امتلأت ظلماً وجوراً. وهذه العقيدة تسمى عند الشيعة بالرجعية أي رجوع الإمام . كان عبد الله بن سبأ اليهودي المذكور اول من نطق بهذا الكلام في الإسلام . لأنه قال برجوع محمد عليه السلام بعد وفاته . ثم ردد كلام الرجوع شيعي آخر وهو جعفر الجعفي في مستهل المائة الثانية الهجرية . لقد زعم هذا الرجل : أن علي بن أبي طالب سيرجع . واستدل بذلك بقوله تعالى " وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ " ، لأن الله يقصد هنا بالدابة علي بن أبي طالب . ثم زعمت الفرقة الإمامية من الشيعة في القرن الثالث الهجري : أن أئمتهم كلهم سيرجعون .

ثم اشتهرت في هذا المجال الفرقة الشيعية التي سميت بالكيسانية . يقول البغدادي في وصف هذه الفرقة : " والكيسانية فرق كثيرة يرجع محصلها إلى فرقتين : احداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت ، وهم على انتظاره ، ويزعمون أنه المهدي المنتظر . والفرقة الثانية منهم يفرقون بإمامته في وقته ، وبموته ، وينقلون الإمامة بعده إلى غيره ، ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه " . (١)

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٣ .

وتنتظر الجاردودية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (المقتول سنة ١٤٥هـ) ولا تصدق بقتله ولا بموته ، وتزعم أنه هو المهدي المنتظر الذي يخرج فيملك الأرض .

يقول البغدادي : وقول هؤلاء فيه كقول المحمدية في الإمامية في انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي . (١)

ومن الجدير بالذكر أن الشيعة آمنت بنظرية ظهور المهدي إيماناً راسخاً ، ثم وضعت أحاديث كثيرة في تأييد هذه النظرية ونسبتها إلى الرسول عليه السلام . وأن بعض تلك الأحاديث قد أخذت طريقها إلى كتب أهل السنة أيضاً . ومن المعلوم الإمامين البخاري ومسلم لم يوردا شيئاً من هذه الأحاديث ، وإنما أوردها كل من أبي داوود والترمذي وابن ماجة في سننهم مثل حديث يرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي " .

وفي حديث آخر : لو لم يبق من الدهر إلى يوم ليبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها جوراً ... الخ .

ثم تتلقى الصوفية هذه العقيدة بترحاب حار بسبب صلتهم بالشيعة ، وصاغوها صياغة صوفية وسموها (القطب) . لقد كوّن هؤلاء مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح وعلى رأس هذه المملكة وضعوا (القطب) وهو نظير الإمام المهدي في التشريع . القطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء ويلي القطب النبجباء . قال بن عربي في (الفتوحات الملكية) : وهم اثنا عشر نقيباً ، في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون على حسب عدد بروج الفلك الاثنى عشر ، وذلك بسبب ما أودع الله في مقامه من الأسرار والتأثيرات . وقد جعل الله على أيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة وأعطاهم قدرات استخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها ، وأن ابليس ينكشف أمامهم ، فهم يعرفون عنه مالا يعرفه هو عن نفسه ، ويعملون جميع أسرار الناس ، والأمور الغيبية التي تتعلق بكل انسان .

لقد انتقد بن خلدون جميع الأحاديث الواردة عن المهدي في كتب السنة ، وكشف وهنها من ناحية الجرح والتعديل ، وقرر أخيراً أنها موضوعة تماماً ، ولا يصح منها حديث . (٢)

وقد علم القادياني الأهمية التي نالتها أحاديث المهدي في قلوب المسلمين ووجدانهم وسلوكهم ، ثم علم جميع المهديين في الإسلام وآخرهم المهدي الهندي المذكور سابقاً . ومن هنا لم يجد غرابة ــ ولا سيما وهو من عشاق وحدة الوجود من اتباع بن عربي صاحب نظرية (القطب) ــ في تنصيب نفسه قطباً ومهدياً ينتظره المسلمون منذ مئات السنين .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣١ .
(٢) انظر للتفصيل (ضحى الإسلام) للدكتور أحمد أمين ٢٣٧/٣ ــ ٢٤٦ .

لقد تمثلت عقيدة التقمص الإلهي في أبدع مظاهرها في شخصية الحلاج الذي كان من كبار رجال التصوف .

ولد الحسين بن المنصور الحلاج في عام ٢٤٤هـ في البيضاء إحدى بلاد فارس ، ونشأ بواسط والعراق ، وصحب أبا القاسم الجنيد . يختلف الناس في أمره ، منهم من ينصره ، ومنهم من يكفره . وفي عام ٣٠٩هـ أمر الخليفة المقتدر العباسي بضربه ألف سوط ، فإن مات منها ، وإلا ضرب عنقه . واخرجوه عند باب الطاق ، واجتمع خلق كثير من العامة ، وضربه الجلاد ألف سوط ، ثم قطع أطرافه الأربعة ، ثم حز رأسه ، واحرق جثته . فلما صارت رماداً ألقاه في دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر . (١)

لقد ذكره البغدادي بين الفرق الحلولية وكلها من الشيعة مثل : السبئية والجناحية والخطابية والنميرية والمنعية والرزامية والحلمانية ، وآخرها الحلاجية . (٢)

قال فيه البغدادي : وكان في بدء أمره مشغولاً بكلام الصوفية. وكانت عباراته حينئذ من الجنس الذي تسميه الصوفية (الشطح) وهو الذي يحتمل معنيين : أحدهما ــ حسن محمود ، والآخر قبيح مذموم . وكان يدعي أنواع العلوم على الخصوص والعموم ، وافتتن به قوم من أهل بغداد وقوم من أهل طالقان خراسان .

وقد اختلف فيه المتكلمون والفقهاء والصوفية . فأما المتكلمون فأكثرهم على تكفيره . وعلى أنه كان على مذهب الحلولية ، وقبله قوم من متكلمي السالمية بالبصرة ، ونسبوه غلى حقائق معاني الصوفية .

وكان القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري ــ رحمه الله ــ نسبه إلى معاطاه الحيل والمخاريق .

واختلف الفقهاء أيضاً في شأن الحلاج . فتوقف فيه أبو العباس ابن سريح لما استفتى في دمه وأفتى أبو بكر محمد داود بجواز قتله .

واختلف فيه مشايخ الصوفية . فبرئ منهم عمرو بن عثمان المكي وأبو يعقوب الأقطع وجماعة منهم . وقال عمرو بن عثمان : كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن . فقال : يمكنني أن أقول مثل هذا . وروى أن الحلاج مرّ يوماً على الجنيد فقال له : أنا الحق . فقال له الجنيد : أنت بالحق أية خشبة تفسد فتحقق فيه ما قال الجنيد ، لأنه صلب بعد ذلك .

وقبله جماعة من الصوفية ، منهم : أبو العباس عطاء ببغداد ، أبو عبد الله بن خفيف بفارس وأبو القاسم النصر آبادي بنيسابور وفارس الدينوري باحيته .

---

(١) انظر ترجمته في ابن خلكان ، والطبقات الكبرى للشعراني ١٢٦/١ .
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٥٥ .

والذين نسبوه إلى الكفر وإلى دين الحلولية حكوا عنه أنه قال : من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين. ثم لا يزال يصفوا ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية . فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي في عيسى بن مريم . ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالي .

وزعموا : أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة .

وذكر أنهم ظفروا بكتب له إلى أتباعه عنوانها : من (الهو) الذي هو رب الأرباب المنصور في كل صورة إلى عبده فلان . فظفروا بكتب أتباعه إليه وفيها : (يا ذات الذات ومنتهى غاية الشهوات ، تشهد أنك المتصور في زمان بصورة ، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ، ونحن نستجيرك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب " . (١)

لقد حج الحلاج عدة مرات . وفي أثناء حجه للمرة الثانية سافر إلى الهند وقال : أنه يقصد من رحلته هذه دعوة أهل الشرك إلى التوحيد وتعلم السحر الهندي ثم حج مرة ثانية ثم عاد إلى بغداد . (٢)

ومما ذكر عنه ابراهيم بن فاتك قوله : دخلت يوماً على الحلاج في بيت له على غفلة منه . فرأيته قائماً على هامة رأسه وهو يقول : يا من لازمني في خلدي قرباً وباعدنا بعجم القدم نت الحديث غيباً. تتجلى على حتى ظننت الكل وتسلب عني حتى أشهد بنفيك . فلا بعدك يبقى ، ولا قربك ينفع ولا حربك يغني ولا سلمك يؤمن . فلما أحس بي قعد مستوياً وقال : ادخل ، ولا عليك . فدخلت وجلست بين يديه فإذا عيناه كشعلتي نار . ثم قال : يا بني ، إن بعض الناس يشهدون عليّ بالكفر وبعض الناس يشهدون لي بالولاية . والذين يشهدون عليّ بالكفر هم أحب إليّ وإلى الله من الذين يشهدون لي بالولاية .

وقال أبو بكر الشيلي : قصدت الحلاج وقد قطعت يداه ورجلاه وصلب على جذع . فقلت له : ما التصوف ؟ فقال : أهون مرقاة منه ما ترى . فقلت : ما أعلاه ؟ فقال : ليس لك إليه سبيل . ولكن سترى غداً فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك . (٣)

يقول فيه أبو ريحان البيروني : (كان رجلاً مشعيذاً ومتصنعاً مازجاً نفسه بكل انسان على حسب اعتقاده ومذهبه ، ثم ادعى حلول روح القديس فيه وسمى بالإله وصارت له إلى أصحابه رقاع معنوية بهذه الألفاظ من (الهو) هو الأزلي الأول النور الساطع والأصل الأصلي وحجة الحجج ورب الأرباب ومنشئ السحاب ومشكاة النور ورب الطور المتصور في كل صورة غلى عبده فلان .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٦٣ .
(٢) ظهر الإسلام للدكتور أحمد أمين ٧٠/٢ .
(٣) أنظر : أخبار الحلاج ص ٢٤ ، ٣٦ .

وكان أصحابه يفتتحون كتبه إليه بسبحانك ، يا ذات الذات ومنتهى غاية الذات ، يا عظيم يا كبير أشهد أنك الباري القديم المنير المتصور في كل زمان وأوان . وفي زماننا في صورة الحسين بن منصور عبدك ومسكينك وفقيرك والمنيب بك والمستجير إليه ، والراجي رحمتك يا علاّم الغيوب يقول كذا وكذا

وصنف كتباً في دعواه مثل : كتاب نور الأصل ، وكتاب جم الأكبر ، وكتاب حجة الأصغر .

ولم يتكلم بحرف فيما فعل به ولم يقطب وجهه ولم يحرك شفتيه .

وبقيت بقية من أتباعه المنسوبون إليه يدعون إلى المهدي ، وأنه يخرج بالطالقان ، وهو الذي ذكر في كتاب الملاحم أنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . (١)

هذا فإذا أخذنا في عين الإعتبار أن القادياني ادعى بالنبوة ــ كما يرى خصومه من علماء الهند وباكستان ــ وفي هذه النظرية أيضاً يملك القادياني له سواعد وأدلة ما يبرره ويخفف من حدة المسلمين وثورتهم ضده . لأن دعوى النبوة للمسلمين ليست جديدة ، ولم يخترعها القادياني لأول مرة . لقد ادعى مسيلمة الكذاب النبوة في حياة الرسول عليه السلام نفسه . ثم استفحل أمره بعد وفاة الرسول ، مما دعا سيدنا أبو بكر إلى إعلان الحرب ضده . وبهذا انتهت اسطورته . ثم انتشرت هذه الدعوى بين الشيعة فيما بعد .

النبوة عند الشيعة

يقول بن حزم في هذا الصدد : " قالت فرقة (من الشيعة) بنبوة علي ، وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد ، والمنتظر بن الحسن أنبياء كلهم . وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة ، وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية .

وقد حام المختار حول من يدعي النبوة لنفسه وسجع أسجاعاً وأنذر بالغيوب عن الله . وأتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة ، وقال بإمامة محمد بن الحنفية .

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد ــ مولى بجيلة بالكوفة ــ وهو الذي احرقه خالد بن عبد الله القسري بالنار .

وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي صلبه وأحرقه خالد ابن عبد الله القسري مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد .

---

(١) الآثار الباقية ص ٢١١ .

وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستير العجلي وهو الملقب بالكسف . وكان يقول : أن المراد بقول الله عز وجل : " وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا " وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة . وكان لعنه الله يقول : أنه عرج به إلى السماء وأن الله تعالى مسح رأسه بيده ، وقال له : ابني اذهب فبلغ عني .

وكان لعنه الله يقول : بأن أول من خلق الله تعالى عيسى بن مريم ، ثم علي بن أبي طالب ، وكان يقول بتواتر الرسل وأباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم . وقال : إنما هم أسماء رجال . وجمهور الرافضة اليوم على هذا ، وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج .

وأصحابه كلهم خناقون رضاخون وكذلك أصحاب المغيرة بن سعد، ومعناهم في ذلك أنهم لا يستحلون حمل السلام حتى يخرج الذي ينتظرونه . فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية (بالخشب) فقط .

وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة . وفرقة قالت بنبوة معمر بايع الحنطة بالكوفة ، وقالت فرقة بنبوة عمير البتان بالكوفة .

وهذه الفرق الخمس من الفرق الخطابية . وقالت فرقة من أولئك شيعة بني العباس بنبوة عمار الملقب بخداش ، فظفر به أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري فقتله وانتقل إلى لعنة الله " .

وعلى ضوء هذه الظواهر لم تبق ــ كما يرى محمد أقبال ــ الجبهات المعارضة التي أنشأها علماء الهند وباكستان قوية راسخة متينة ضد القاديانية . لأنها لا تحمل إلا سلاحاً دينياً واحداً فقط وهو المبادرة بتكفير كل عقيدة شاذة ، واعتماداً على حماسة المسلمين وقوتهم القاهرة في قهر كل صاحب زيغ عنيد ولكنها لم تتسلح بالأسلحة العلمية الحديثة التي تتميز بالأدلة العلمية الجادة والمناقشة الهادئة والبراهين القوية والأسلوب الرقيق المتين المقنع .

ومن هنا يتحتم علينا أن نعالج مشكلة القاديانية في العقيدة الإسلامية معالجة علمية تتزن بالرزانة والإنصاف وتتوافر فيها الأدلة العلمية القوية . ولا يسعنا في هذه العجالة أداء هذه المهمة بالتفصيل . بل إنما نستطيع أن نقدم صورة موجزة كمدخل لهذا الموضوع لتبني عليها فيما بعد الدراسة الشاملة .

عقيدة نزول المسيح في الإسلام

ومما لا شك فيه أن معظم الأسلاف قد ذهبوا إلى أن المسيح قد رفع إلى السماء حياً ، وأنه سوف ينزل مرة أخرى قرب القيامة لتحطيم الصليب وتطبيق الشريعة الإسلامية المحمدية ولكن لا نجد إجماعه على هذا الأمر ، لأننا نجد من بينهم من يرى وفاة المسيح وعدم عودته إلى الدنيا .

وإليكم هذه الأقوال :

في قول الله تعالى " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ " (١) قال بن عباس رضي الله عنه في تفسيره : أي : مميتك .

وعن الربيع بن أنس عن حسن أنه قال في قوله تعالى إني متوفيك يعني وفاة المنام . رفعه الله في منامه.

قال الحسن : قال رسول الله ﷺ لليهود : أن عيسى لم يمت وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة .

قال مطراق الوراق : إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت .

وقال بن جرير : توفيه هو : رفعه .

وقال الأكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى : " وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ " (٢)

وقال بن زيد : متوفيك : قابضك .

قال القرطبي في تعليقه على أقوال السلف: والصحيح أن الله سبحانه وتعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد ، وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس . (٣)

هذا وفي تفسير قوله تعالى " وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا " (٤) قول بن كثير : والضمير في قوله (قبل موته) عائد على عيسى عليه السلام ، أي : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ــ على ما سيأتي بيانه ـ فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم ، لأنه يضع الجزية ولا يقبل .

وقال القرطبي ــ نقلاً عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ــ : أنه ليس احد من أهل الكتاب (أي اليهود والنصارى) إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام إذا عاين الملك ، ولكنه إيمان لا ينفع. لأنه إيمان عند اليأس وحين التبس بحالة الموت . فاليهودي يقر في ذلك الوقت بأنه رسول الله .

وقال الحسن : يؤمنون قبل موت عيسى . والله انه لحي عند الله الآن . ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعين.

---

(١) آل عمران ٥٥/٣ .
(٢) تفسير بن كثير ٣٦٦/١ .
(٣) تفسير القرطبي ص ٢٠٠٦ (طبع مؤسسة دار الشعب بالقاهرة) .
(٤) النساء ١٥٩/٤ .

وقيل : ليؤمنن به : أي بمحمد عليه السلام وأن لم يجر له ذكر . لأن هذه الأقاصيص أنزلت عليه والمقصود الإيمان به . والإيمان بعيسى يتضمن الإيمان بمحمد عليه السلام أيضاً . إذ لا يجوز أن يفرق بينهم .

وقيل : ليؤمنن به : أي بالله تعالى قبل أن يموت ، ولا ينفعه الإيمان عند المعاينة . " (١)

ومما يلاحظ لعى كل ما أورده ابن كثير عن ابن عباس وعن ابن الحسن وغيره فيما يتعلق بنزول عيسى في تفسيره هذه الآية : أنها آرائهم الشخصية ولا يرفع شئ منه إلى الرسول عليه السلام .

ونجد هنا تناقضاً واضحاً في أقوال السلف وهو أن إيمان أهل الكتاب بعيسى في هذه الحالة لن ينفعهم ولا لن يخرجهم من الكفر والعذاب . وفي ذلك ما أورده بن كثير عن ابن عباس : ولو ترى من شاهق أو ضرب بالسيف أو افترسه سبع فإنه لابد أن يؤمن بعيسى . فالإيمان به في هذه الحالة ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره . " (٢)

وإليكم الاحاديث الواردة عن نزول عيسى :

قد أورده البخاري في باب قصص الأنبياء عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة له خيراً من الدنيا وما فيها .

ثم قال أبو هريرة : اقرؤوا ان شئتم : " وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا " .

وكذلك روى أبو هريرة أحاديث في وصف عيسى عليه السلام مثل حديثه : فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل .

وفي حديث النواس بن سمعان : فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ، ولا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات نفسه ينهى حيث انتهي طرفه .

وروى البخاري ومسلم عن طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ليلة أسرى بي لقيت عيسى . فنعته النبي ﷺ فقال : ربع أحمر ، كأنه خرج من ديماس " يعني الحمام . (٣)

---

(١) تفسير بن كثير ٣٦٦/١ ، ٥٧٧/١ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ .
(٢) تفسير القرطبي ص ١٣٤٣ .
(٣) تفسير القرطبي ٥٨٣/١ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : والله لينزلن ابن مريم حكماً وعدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القماص (جمع قلوس : وهي الناقة) ، فلا يسعى عيها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد ".

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم لفج الروحاء (طريق بين مكة والمدينة) حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما ولا ينزل بشرع مبتدئ ، فينسخ به شريعتنا ، بل ينزل مجدداً لما درس منها متبعها .

كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمامكم منكم ؟ وفي رواية (فأمكم منكم) . قال بن أبي ذئب : تدري ما أمكم منكم ؟ قلت : تخبرني ؟ قال : فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ .

ومن الجدير بالذكر أن معظم الأحاديث عن نزول عيسى قد رواها أبو هريرة ورفعها النبي صلى الله عليه وسلم . وقد شك بعض الأسلاف في رفعه إلى الرسول وظنوا أنها من اقوال أبي هريرة. وفي ذلك قول ابن كثير : فزعهم حنظلة ان أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موت عيسى . فلا أدري : هذا كله حديث النبي ﷺ أو شئ قاله أبو هريرة . " (١)

وحينما ننظر إلى الروايات الإسلامية يتراءى لنا أن حياة عيسى بعد رفعه إلى السماء عقيدة مسيحية قد وجدت قبل الإسلام ، ونقلها إلى الإسلام بعض اهل الكتاب من تابعي التابعين أو ممن روى عن أهل الكتاب مثل محمد بن اسحاق .

قال بن اسحاق عمن لايتهم عن وهب بن منبه أنه قال : قد توفاه الله ثلاث ساعات ، من أول النهار حين رفعه الله .

وقال بن اسحاق : والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه .

وعن أدريس بن وهب : أماته ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه . (٢)
ومن ناحية أخرى فحينما نرجع إلى كتب النصارى المعاصرين أنفسهم ، نجد عندهم عقيدة نزول المسيح .

قال قال المسيح ــ كما ذكر بطرس في خطابه في العنصرة (٥١٤ : ١٧) ــ : " وسيكون في الأيام الأخيرة أني أفيض من روحي على كل جسد فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً " (يؤيل ٢ : ٢٨) (٣)

---

(١) تفسير بن كثير ٥٧٨/١ .
(٢) نفس المصدر ٣٦٦/١ .
(٣) التجسد للأب فرنسيس فريبة وترجمة الأب لويس أبادير ص ١٧ .

وبما أن نزول المسيح عقيدة مسيحية أصلاً وأساساً ، وأن الأحاديث الواردة في هذا الصدد يمكن مناقشتها على ضوء أصول الجرح والتعديل وأن الآيات القرآنية كلها في هذا الصدد متشابهة ، يمكن تأويلها من وجوه عديدة ، يرى من أئمة المحدثين والفقهاء والغيورين على الإسلام مثل الإمام ابن حزم أن المسيح قد توفى كأن بشر ولن يعود . وإليكم نص قوله : " وقوله تعالى وما قتوله وما صلبوه ولكن شبه لهم " ، إنما هو أخبار عن الذين يقولون تقليداً لأسلافهم من النصارى واليهود أنه عليه السلام قتل وصلب . فهؤلاء شبه لهم القول ، أي أدخلوا في شبه منه ، وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت وشرطهم المدعون أنهم قتلوه وصلبوه ، ويعلمون أنه لم يكن ذلك ، وإنما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضون الناس ، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة التي شبه الخبر لها. (١)

إننا لا نقصد في كل ما أوردنا بان المسيح قد توفى ولم ينزل مرة أخرى ، بل نرى أن عقيدة نزول المسيح ليست لها صلة بالعقيدة الإسلامية الأساسية بتاتاً ، ولا يمكن تكفير من أنكر نزوله وآمن بموت المسيح عن طريق التأويل . لأن الآيات الواردة في هذا الصدد متشابهة كلها وليست من البينات الواضحة .

ومما لا شك فيه أن مادة (التوفى) ــ من الناحية اللغوية ــ في قوله تعالى " اني متوفيك " تدل على بلوغ التمام ، مثل قوله تعالى " وأوفوا الكيل إذا كلتم " وأن توفية الشئ معناها بذله وافياً ، واستيفاؤه ، أو تناوله وافياً كقوله تعالى " ووفيت كل نفس ما كسبت " ، ولكن (التوفى) عبر عنه في اللغة عن الموت والنوم مثل قوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها " ، " وهو الذي يتوفاكم بالليل " ، و " قل يتوفاكم ملك الموت " . وتوفته رسلنا . واما معنى استيفاء العمر في قوله تعالى " اني متوفيك " لغة شاذة ولذلك قال الراغب : " وقد قيل توفى رفعه واختصاصاً لا توفى موت " (٢)

لقد جعل خصوم القادياني في الهند وباكستان حياة المسيح موضوعاً أساسياً في العقيدة الإسلامية ، وركزوا كل جهودهم على توكيد حياة المسيح في السماء ، ونزوله إلى الأرض نزولاً مادياً ، وذلك لإبطال مزاعم القادياني ، وإثبات كذبه وافترائه ، لأنهم يعرفونه ويعرفون آبائه وأجداده كل المعرفة ، فلم ينزل القادياني من السماء كما هو مفروض للمسيح الموعود .

وأن لجوء خصوم القادياني إلى هذه الأدلة أمر ضعيف جداً ، لأن القادياني استطاع تنصيب نفسه مسيحاً بسبب وجود عقيدة نزول المسيح عندنا بأي شكل من الأشكال . لأنه قد نفذ من خلال هذه الثغرة لإعلان نفسه مسيحاً . وإذا سددنا هذه الثغرة ورفضنا بتاتاً نزول المسيح فلن يملك القادياني دليلاً للإدعاء بأنه هو المسيح الموعود سواء أكان حقيقياً او بالتقمص . ولقد واجهت شخصياً بعض مبشري القادياني الكبار ، وقلت أمامهم : إنني أؤمن بموت المسيح على مذهب الإمام ابن حزم : فهاتوا برهانكم الآن لإثبات أن القادياني مسيحاً ، لأنني لا أؤمن بهذه العقدية بتاتاً ؟ فبهتوا . وبهذا خرجت من أن عقيدة موت المسيح أقوى سلاح ضد القاديانية ، منه إلى حياته ونزوله .

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٤٨/١ .
(٢) غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (التوفى) .

وكذلك على ضوء نقد ابن خلدون للأحاديث الورادة عن نزول المهدي ــ لن تبقى حجة أمام القادياني لإعلان نفسه مهدياً امامنا ، لأننا لا نؤمن بفكرة نزول المهدي بتاتاً .

وأما لجوءه إلى نظرة التقمص ودعواه أن سيدنا ابراهيم قد تجسد في سيدنا محمد عليه السلام ، وأن سيد محمد قد تجسد في كثير من أتباعه المخلصين ومن بينهم القادياني فهو أمر مهم يحتاج إلى البحث والنقاش . وعلى الرغم من بطلان هذا الزعم فله أساس في التاريخ الإسلامي . لأننا وجدنا طوائف ان الشعة قد آمنت بهذه النظرية ، بل زعمت أن الله قد تجسد في أئمتها ، وهذا أخطر قول وأشده بطلاناً وكفراً بالنسبة إلى مزاعم القادياني بأن تجليات محمد أو عيسى قد انعكست عليه وتقمصت فيه . لأن إضفاء الألوهية على البشر كفر وشرك من دون شك ، ولكن إضفاء صفات الأنبياء والرسل على بعض الناس وفق عقيدة التقمص ــ إذا كان قائله صحيح العقل والوجدان ــ فسق وضلال . وإذا كان مختل العقل ــ مثل القادياني ــ هذيان وجنون .

ومن ناحية أخرى أن كثيراً من طوائف الشيعة لم تزل قائمة على عقيدتها ، ولاسيما الإسماعيلية المتمثلة الآن في طائفة آغاخان والبهرا للشيخ برهان الدين ، ولم يكفر أحد هذه الطوائف حتى الآن ، بل اتهموها بالفسق والضلال . وفي الوقت الذي تبذل فيه جهود المسلمين لتوحيد صفوفهم ، ونسيان الفروق والشذوذ في عقائهم والتسامح معهم ، يحتاج الأمر لإعادة النظر في كل ما يقال عن القاديانية ، ولاسيما حين نرى في القاديانية فرقة تسمي نفسها اللاهورية ، تلك التي لا تؤمن بنبوة القادياني بأي شكل من الأشكل بل تعتبره مجرد مجدد في الإسلام . ومن هنا يرى الشيخ عبد الماجد الدربابادي ــ وهو من أبرز أعلام الهند ومن أشهر مفسري القرآن في كل من اللغتين الإنجليزية والأردية وأديب عملاق وصحفي ناقد عظيم ــ أنه لا يصح تكفير القاديانيين بأي وجه من الوجوه ، بل ينبغي اعتبارهم من الفرق الإسلامية الضالة مثل الشيعة والخوارج . وهو لم يزل على هذا الرأي ولم يزل يواجه هجوماً شديداً من جماهير علماء أهل السنة بسبب هذا الرأي ــ ضد إجماعهم ــ مع اعترافهم بفضله وطول باعه في هذا الإسلام وخدمته له .

مناقشة عقائد الأحمدية واللاهورية

ومن الواضح البين عندنا ــ على ضوء قرائتنا لكتب القادياني ــ أنه لم يدع يوماً من الأيام بالنبوة الحقيقية ، ولم ينصب نفسه يوماً نبياً حقيقياً بعد الرسول عليه السلام ، ينسخ رسالته ويبطل كونه خاتم الأنبياء ، بل كل ما قاله ــ كما أوردنا ــ أنه هو المهدي الموعود ، ثم المسيح الموعود أو النبي وفق عقيدة التجسد . وإذا كان القادياني صحيح العقل والوجدان لحكمنا عليه بالفيس والضلال . ولكنه كان مختل العقل ، وتاهٍ في وادي التصوف المظلم ، وفقد شعوره ووعيه ، ومن هنا ينطبق عليه كل ما ينطبق على المجانين ومفتوني العقل .

وهنا يتسائل المرء : وإذا كان الأمر كذلك ، فلم اتخذت دعوته حركة عالمية ؟ ولماذا صار له الأنصار والأتباع ؟ ولماذا يزدادون عدداً وعتاداً كل يوم ؟ وكيف يقومون بالتبشير لمذهبهم بصورة عالمية ؟ وكذلك كيف استطاع هؤلاء تحويل آلاف من الأفريقيين إلى عقيدتهم ؟

الحقيقة أن العوام في ولاية بنجاب مسقط رأسه ــ كما يرى محم أقبال وهو الآخر في نفس الولاية كما قلنا ــ كانوا متوغلين في الخرافات والأوهام إلى أخمص أقدامهم . وكان يسرعون إلى كل من أتى بالخوارق والكرامات ــ وهي ظاهرة منتشرة في الهند حتى لدى الهندوس ــ ليؤمنوا به وليشدوا على يديه. ولم يزل العوام في الهند وباكستان يؤمنون بكل الخرافات والخزعبلات ويسلمون زمام أمرهم لكل أفاك أثيم ، إذا أجاد ألاعيب السحر والشعوذة والتنويم المغناطيسي والسيطرة على الجن والعفاريت ، وإذا اتخذ أزياء الدروايش والزهاد واليوجيين . وبما ان القادياني خطا أشواطاً بعيدة المدى في مجال التصوف ، واجتار جميع المراحل الشاقة في الرياضات الصوفية وفق مذهب وحدة الوجود ، واستطاع التأثير على الناس وأسر قلوبهم من أول نظرة إليهم كما يعمل الكثير من المنومين المغناطيسيين حتى هذه اللحظة ، وأتى بألاعيب سحرية كثيرة اعتقد العوام أنها من خوارقه وكراماته . فوقعوا في مكائده وصاروا فريسة لحيله . ولم نزل نرى في هذين البلدين أمواج الناس تتدفق على المتصوفين من هذا النوع ، ومنهم عدد كبير من المثقفين الجامعيين الذي يجهلون الدين وتقتصر ملعوماتهم على اخصاصاتهم فقط مثل الطب والهندسة والزراعة والتجارة وما إلى ذلك .

وفيما يتعلق بإتخاذ هذه الحركة الصبغة العالمية وانتشارها في أفريقيا واوربا ، فإن هذا الامر ليس ببديع ولا غريب يثير الدهشة ، لأن القاديانية لا تختلف على المسيحية بأية حال . وإذا كان هناك نشاط وحركات تبشيرية قوية للمسيحية في العالم أجمع ، مع أنها هي الأخرى تنتهج المنهج المتشابهة للقاديانية ، وهو عرض المسيح في زي الألوهية وفق عقيدة التجسد ، فإن القاديانية دونها خرافة ، لأنها لا تعرض القادياني في مظهر الله سبحانه ، بل تعرض المسيح الرسول في ظهر القادياني . كذلك أخذت القاديانية جميع أساليب الحركات التبشيرية ، وانتهجت نفس مناهجها التبشيرية ، ولم يزل الإستعمار في عونها ، وذلك وفاء وجزاء لخدمة القادياني للحكومة البريطانية العظمى من قبل .

ولقد وجدنا من قبل (١) أن الجماعة الأحمدية التي يتولى زعامتها أبناء القادياني نفسهم، تحاول إعطاء القادياني صبغة نبي مستقل وذلك لكسب الشهرة والشعبية ، ونيل المال والجاه واستقلالهم بالزعامة الدينية ، وكان ذلك لى حساب أبيهم ــ منشئ القادياني ــ ليقبل عليهم الناس ويقبلون أيديهم ويغدقون عليهم الأموال والجوائز . إن هذه الشهوة النفسية والتجارة الدينية هي التي حملتهم على عرضه في صورة نبي من الأنبياء ، مع أنه لم يدع بالنبوة الحقيقية على الإطلاق ، كما تشهد بذلك كتبه ومؤلفاته جميعاً . ولكن هذه الجماعة مع ذلك لا تجهر بالقول أنه نبي مستقل لا علاقة له بمحمد عليه السلام ودينه وقرآنه ، بل تلجأ إلى أساليب التلفيق والتأويل والتزوير والتحريف . فحينا تقول : أنه المهجي المنتظر ، وحينا آخر أنه مثيل المسيح المنتظر وشبيهه ، وتارة أنه هو المسيح ، وتارة أخرى أنه نبي من الأنبياء ولكنه لم يأت بشريعة جديدة ، بل أبقى شريعة محمد . ولكنها تستغل الكثير من مزاعم القادياني وهذيانه لعرضه في صورة نبي مثل ان الله أوحى إليه وأعطاه الآيات والمعجزات . ومن هنا ينبغي لنا مناقشة موضوع النبوة والنبي في الإسلام ، وحقيقة الوحي والخوارق في الإسلام .

---

(١) انظر ص من هذا الكتاب

الـنبوة والأنبيـــاء

قد جرت سنة الله سبحانه أن يرسل رسله في ساعات عصيبة من تأخير الإنسان حيث ينسى الناس ربهم ويتخبطون في دياجير الظلام ويقعون في أنواع الضلال والكفر والشرك والمعاصي والطغيان والفساد . ثم يسعون ــ إذا كانوا ممن أوتوا العلم من قبل ــ إلى تحريق كتبهم ويغالون في دينهم . وأن الرسل حينما يبعثون في مثل هذه الأجزاء والبيئات المحيطة بهم والمتوغلة في الفساد إلى أقصى الحدود تأخذهم الرأفة ويصممون على إصلاحها ، وإنقاذ الشعب من الأيدي الظالمة للحكام الوثنيين الذين يسخرونه ويذيقونه سوء العذاب ويذللونه ، ويمارسون هذه أنواعاً من الطغيان والإرهاب لإخضاعهم وسيطرتهم لتحقيق مآربهم وتوطيد سلطانهم . ولذلك يرفع الأنبياء أصواتهم ضد جميع هذه المظاهر . ومن هنا كانت تتقلب عليهم أقوامهم ، ويهددهم حكامهم بالإعدام ، وكم من الأنبياء قتلوا على أيدي الطغاة من الحكام . ولو افترضنا لبرهة أن الطائفة الأحمدية اتخذت القادياني نبياً لها ، فلا يصح هذا منها مطلقاً . لأن حياة القادياني تعارض سيرة الأنبياء معارضة كاملة من جميع الوجوه . أولا : أن النبي يكون سليم الجسم والعقل ، وقد كان القادياني مختل العقل والفكر ، وثانياً : أن النبي يأتي بكل الأشياء من عند الله سبحانه مباشرة ، ولم يسبق له أن دخل المدارس ، وتعلم العلوم ، وتتلمذ على بشر كما هو الشأن بالنسبة إلى رسولنا محمد . ولكن القادياني قد تعلم لغات عديدة وأتقن علوم الملل والنحل وتبحر في الدراسة المقارنة للأديان ، وناظر القسيسين والرهبان ، كل ذلك قبل إعلانه المهدية لنفسه . وثالثاً : أن الأنبياء يشنون هجوماً عنيفاً على الحكام المشركين الطغاة . فكان يجب عليه أن يعلن الجهاد ضد المشركين الذين قضوا على الدولة الإسلامية في الهند ، وحطموا معالم الحضارة الإسلامية ، وأحلوا محلها الحضارة الصليبية المشركة ومارسوا جميع أنواع الإرهاب والطغيان وقتلوا آلافاً من المسلمين الأبرياء وأدخلوا إلى البلاد الديانة المسيحية المشركة ــ لأول مرة ــ تلك التي لا تختلف عن الهندوكية في إيمانها بالأوتار وعرضها المسيح في مظهر الألوهية ، بل أخذ هو هذه العقيدة من المسيحية وطبقها على نفسه . وبهذا ظل القادياني عبداً مأجوراً للإنجليز وعميلاً لهم طول حياته ، كما كان على ذلك أبوه وأخوه : وإذا آمن أحد بأنه نبي فلم يسبق في تاريخ الأنبياء مثيل لهذا النبي الأجير العميل .

ان القادياني عارض القرآن معارضة شديدة ــ إذا كان مؤمناً كما زعم ــ في موالاته للإنجليز وجريه ورائهم ، لأن الله يقول :

١- ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل : إن هدى الله هو الهدى . ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير . (١)

٢- يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالاً . ودوا ما عنتم . قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفي صدورهم أكبر . قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . (٢)

---

(١) البقرة ١٢٠/٢ .
(٢) آل عمران ١١٨/٣ .

ومن ناحية أخرى فإن القادياني عاش حياته الأولى كأي رجل عادي ، وتقلب في الوظائف الرسمية للإنجليز ، وشهد عدد من زملائه وأصدقائه على أنه ارتكب ذنوباً كثيرة في صباه وشبابه كأي فرد عادي في المجتمع الهندي آنذاك ، وينسبون إليه أموراً كثيرة مثل الشذوذ الجنسي وأشياء أخرى لا يصح ذكرها هنا . ولكن الأنبياء كانوا أبرياء من جميع المعاصي والذنوب . وإذا حدث لأحد منهم أن اقترب إلى معصية بفرط البشرية كان الله منقذه كما أنقذ سيدنا يوسف من كيد امرأة فرعون تلك التي راودته لنفسها . وفي ذلك قول الله تعالى " ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " .

وإليكم ما أورده الإمام بن حزم في عصمة الأنبياء : فبيقين ندري أن الله تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغية أو من أولاد بغي أو من بغايا بعثهم الله تعالى في حسب قومهم .

فإذا لاشك في هذا فبيقين ندري : أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة . فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغي وأذي الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسه وكل ما يعاب به المرء ويشتكي ويؤذى بذكره .

ثم أورد ما رواه علي بن أبي طالب : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بقبيح مما كان بأهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منها . قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لها ترعى : أبصر لي غنمي حتى أبصر هذه الليلة بسمر الفتيان . قال : نعم . فلما خرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف وزير . فقلت ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش . فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مس الشمس . فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته .

يقول بن حزم في تعليقه على هذا الكلام . " فصح أنه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعدها . ولا بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها إلى مرتين بالسمر ، ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد . والهم حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ولكنه بما يحزوا إليه طبع البرية من استحسان منظر حسن فقط . وبالله تعالى التوفيق (١) " .

الوحـــي وقيمـتـه في الإسـلام

لقد أنزل الله الوحي على رسله وأنزله على رسوله محمد ﷺ . وأن القرآن كله وحي وكذلك شطر كبير من سنة الرسول وحي كما أوردنا هذه التفاصيل في كتابنا عن (شبهات حول السنة) . وهذا الوحي هو الذي ينقسم إلى قسمين : الأول كتاب الله والثاني سنة رسول الله . وهما اللذان يعتبران مصدريان أساسيان للتشريع الإسلامي في اتفاق جميع المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم كما وافق على ذلك القادياني أيضاً كما ذكرنا . ثم أضيف مصدر آخر بعد وفاة الرسول عليه السلام وهو اجماع الأمة .

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٥/٥٥ .

ثم يفتح المجال للاجتهاد على مصراعيه أمام العلماء المسلمين ليستنبطوا المسائل على ضوء هذه المصادر الثلاثة . وليس بعد ذلك شئ يفرض حجة على المسلمين في أمور دينهم . لا الهام ولا كشف ولا كرامات ولا شئ من هذا القبيل ، يقول بن حزم في هذا الصدد :

" كل قول في الدين عرى عن ذلك من القرآن أو من سنة رسول الله أو من اجماع الأمة المتيقن فهو باطل بيقين " . قال الله تعالى " قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " . فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقاً فيه فسقط هذا القول " (١) .

ومن هنا لا يتمتع القادياني والهاماته وكشفه وكراماته بأي سند أو حجة لا لنفسه ولا لأتباعه ، بل هو وأتباعه مرغمون على الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في أمور دينهم كلها . وذلك لأن الوحي إلى الرسول عليه السلام كان حقاً ، كما ينطق بذلك وحتى الآن ما بين دفتي المصحف الكريم . وأما الوحي والإلهام بالنسبة للآخرين ، فيغلب عليه الصبغة الشيطانية . لأن القرآن يؤكد بأن الشياطين يوحون إلى أتباعهم بل حاولوا في بعض الأحيان مزج وحيهم إلى أقوال الأنبياء وإيجاد التحريف فيها . ولكن الله نبه الرسل إلى كيد الشياطين ورده إلى نحورهم وذلك بنسخ وحيهم وإضافاتهم . وهذا يدل على أن مثل هذه العصمة لم يتمتع بها أحد غير الأنبياء . ولذلك يغلب علينا الظن بأن الشياطين تمكنوا من السيطرة على أمثال القادياني من الصوفية المخرفين وأوحوا إليهم بما يريدون وأملوا عليهم جميع رغباتهم . وإليكم آيات الله البينات في هذا الصدد :

١- " ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً " (٢)

٢- " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا ألقى الشيطان في أمنيته . فينسخ الله ما يلقي الشياطين ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . وإن الظالمين لفي شقاق بعيد " (٣)

٣- " وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . ولو شاء ربك ما فعلوه وذرهم وما يفترون " (٤)

٤- " وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون " (٥)

وعلى ضوء هذه الآيات البينات ، ونظراً إلى التناقضات والهفوات والهذيان الذي تمتلئ به كتب القادياني ، لا يستعبد عندنا أن الشياطين هم أوحوا إليه بكل مزاعمه .

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٨/٥ .
(٢) مريم ٨٣/١٩ .
(٣) الحج ٥٣/٢٢ .
(٤) الأنعام ١١٣/٦ .
(٥) الأنعام ١٢٢/٦ .

وأما كراماته وخوارق العادة لأجله فليس لها أية قيمة بالنسبة إلى الهند الكبرى التي يرى سكانها كل يوم عشرات من أصحاب السحر والشعبذة واليوجين والدراويش الذين يأتون بعجائب لا تكاد تصدقها العقول البشرية .

وأما الطائفة الأخرى من القاديانية وهي (اللاهورية) تلك التي تؤمن بأن القادياني كان مجدداً في عصره ولم يكن المسيح الموعود فهذا الكلام هو الآخر مبني على الأوهام .

التجـديـــــد والمجـددون

تقول الجماعة اللاهورية : أن القادياني كان مجدد في الإسلام في عصره . ولذلك ينبغي لنا ان نبحث أولاً في موضوع التجديد والمجددين في الإسلام . إن التجديد والمجددين قد نالا مهمة كبرى في تاريخ المسلمين . ويرجع سببه إلى حديث يروى عن الرسول عليه السلام : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائ سنة من يجدد لها دينها " (١)

قال عبد الرحمن بن شرف الحق بن محمد أشرف في شرح هذا الحديث : " إن شرط المجدد أن يبين السنة من البدعة ويكثر العلم ويعز أهله ويقمع البدعة ويكسر أهلها ، ومن لا يكون مجدداً وإن كان عالماً بالعلوم مشهوراً بين الناس مرجعاً لهم ". (٢)

وقال الشيخ السيد رشيد رضا في شرح هذا الحديث : " إنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين وهدموا من بنيان العدل بين الناس ، فكان عمر ابن عبد العزيز مجدداً في القرن الثاني ، لما أبلى قومه بنو أمية واخلقوا ، ولما مزقوا بالشقاق وفرقوا . وكان الإمام أحمد بن حنبل مجدداً في القرن الثالث لما اخلق بني عباس في لباس السنة وإرشاد السلف الامة بأتباع ما تشابه من الكتاب ، ابتغاء الحكمة وابتغاء تأويله ، وتحكم الآراء النظرية في صفات الله وما ورد في عالم الغيب بالقياس على يتعارض في عالم الشهادة . وكان الشيخ أبو الحسن الأشعري مجدداً في القرن الرابع بهذا المعنى . وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي مجدداً في القرن الخامس وأول السادس لما أشرقت زندقة الباطنية . والإمام أبو محمد على بن حزم الظاهري في القرن السادس (٣) لا سحقت الآراء من فقه النصوص الشرعية ، وشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه ابن قيم مجددين في القرن السابع وأول الثامن لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية والإلحادية من حلل الكتاب والسنة السنية في جميع العلوم الدينية وحسبنا هؤلاء في التجديد الديني العام . (٤)

---

(١) سني أبو داود كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة .
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (انظر باب ما يذكر في قرن المائة في كتاب الملاحم) .
(٣) وهذا الترتيب غير صحيح لأن ابن حزم عاش في القرن الخامس الهجري أي قبل الغزالي .
(٤) تاريخ لإمام الشيخ محمد عبده ــ المقدمة .

يتبين لنا من كلام الشيخ رشيد رضا هذا وغيره من المفكرين المسلمين أن المجدد هو من يقوم بمهمة التجديد إذا أصاب المسلمين الوهن والضعف في عقائدهم وأفكارهم وأعمالهم وسلوكهم فيصقلها كلها وينقيها ويطهرها ويزيل كل الشبهات حول الإسلام ، ويعرضه صافياً ناقياً وبصورة متقدمة تقبلها عقول عصره وتتضمن جميع مطالب العصر وحلول جميع مشاكله .

ولكن مسلمي الهند منذ الإحتلال الإنجليزي قد اساءوا فهم كلمة التجديد والحديث الوارد في هذا الصدد ولقبوا بالمجدد كل شيخ كبير لدى كل طائفة منهم أو كل متصوف كبير عندهم . وبهذا كثر عدد المجددين وزاد النزاع في هذا الموضوع عندهم . أن جماعة علماء ديوبند تعتبر كل المشائخ الكبار عندهم مجددين أمثال : الشيخ محمد قاسم النانتوي ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ محمود الحسن ، والشيخ أشرف علي التهانوي ، والشيخ حسين أحمد المدني . وجماعة أهل الحديث أو الوهابيون يعتبر الشيخ ثناء الله الأمر تسري مجدداً بالنسبةل هم ، وجماعة بريلوي المبتدعة تعتبر إمامها الشيخ أحمد رضا خان مجدداً وحيداً فريداً ، وتعتقد الجماعة التبليغية ان مؤسس هذه الجماعة وهو الشيخ محمد إلياس هو المجدد ، وإلى هؤلاء ينتمي الشيخ أبو الحسن علي الندوي ، وترى الجماعة الإسلامية أن بانيها الشيخ أبا الأعلى المودودي هو مجدد هذا العصر بالمعنى الحقيقي ، وبهذا نجد كل حزب بما لديهم فرحون . وليس بدعاً في مثل هذا الجو أن تعتقد الجماعة اللاهورية أن القادياني هو المجدد الوحيد .

ولكن يتسائل المء : أي تجديد قام به القادياني في عصره ، ما هي البدع التي قمع فتنتها ، وما هي الفتن التي أخمد نيرانها ، وما هي الآراء البناءة والنظريات العظيمة التي قدمها للإسلام ؟ الحقيقة أنه كان متصوف مختل العقل وفاتر الفكر ، ردد كل ما ردده كثير من المتصوفين المخرفين من قبل ولم يأت بشئ جديد بناء مطلقاً . لأن دعوى المهدية وعقيدة التجسد أو النبوة الكاذبة كلها قد تردد صداها في آفاق العالم الإسلامي مرات عديدة كما ذكرنا ، وكانت الشيعة بطلة هذه النعرات بأكملها . فأي جديد ينسب إلى القادياني بعدئذ ؟

ومن ناحية أخرى أن القادياني لم يكن وحيداً في دعواه ومزاعمه في عصره . بل ظهر مهديان آخران في نفس الوقت وهما : مرزا على محمد باني الفرقة البابية ، وحسين بن مرزا عباس مؤسس الفرقة البهائية .

قد ولد الأول ــ وهو مرزا علي أحمد ــ في شيراز سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٠٩م ودرس في مدرسة (قهوة الأنبياء والأولياء) ثم انضم إلى صفوف المتصوفين ولازم الشيخ الرشتي حتي عب فيضاً زاخراً من صوفيته ثم آوى إلى المسجد واعتكف فيه . ولما انتهت به خلوته أدى به الباب الموصول إلى صاحب الزمان أو القائم أو الإمام المنتظر . فالتف حوله الناس .

يعتقد فيه أنصاره أنه أتم وأكمل هيكل بشري ظهرت في الحقيقة الإهية وأنه هو الذي خلق كل شئ بكلمته ، والمبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء . وهو القائل بنفسه : " كنت في يوم نوح نوحاً ، وفي يوم ابراهيم ابراهيم ، وفي يوم موسى موسى ، وفي يوم عيسى عيسى ، وفي يوم محمد محمداً أو في يوم علي علياً " (١)

ومن المعروف انه أورد هذا الكلام وفق تظرية الأوتار أو التجسد الهندوكي ، لأنه كان شيعياً ، والشيعة هي التي تلقت هذه النظرية بقبول حسن منذ البداية كما قلنا . وإذا كان الباب قد ولد ونشر دعوته قبل القادياني بزمن يسير ببلاد مجاورة للهند وهي إيران ، ولغته الفارسية كانت اللغة المنتشرة في الهند آنذاك ، فمن المحتمل جداً أن صداه قد تردد في آذان القادياني ، ومهد لتلبية دعوته ، فصاغه القادياني في دوره صياغة جديدة تلائم ذوقه وطبيعته وبيئته وعقلية أهل ولايته . لأنه هو الآخر زعم كما قلنا أن ابراهيم عليه السلام قد اتخذ مظهر الرسول محمد ، وان محمداً قد تجلى فيه كما تجلى بذلك المسيح .

وأما الثاني ــ وهو حسين بن مرزا عباس الملقب بالبهاء ــ فقد ولد بطهران عاصمة إيران في سنة ١٨١٧م . لقد آمن البهاء بالبابية على أحد البابيين ، ولكن نفسه لم تطمئن بمجاراة أحد وأتباعه والخضوع له ، بل تاقت إلى إنشاء نظرية جديدة ليلتف حوله الناس ، فتحقق له ما تمنى .

فقد مارس هذا الرجل أيضاً التجارب الصوفية ورياضاتها الشاقة وبلغ في هذا المجال مبلغاً كبيراً حتى زعم أخيراً ان وحياً إلهياً تفجر في نفسه ــ وهو في خلوته ــ وأمره بنسخ بعض احكام البابية .

يقول فيه المستشرق جولد تسيهر : " أن بهاء الله بالنسبة للباب كيوحنا المعمدان بالنسبة إلى عيسى . وفي شخص بهاء الله عادت الروح الإلهية للطهور لكي تنجز على الوجه الاكمل العمل الذي مهد له هذه الداعية الذي بعث قبله . فبهاء الله أعظم من الباب . لأن الباب هو القائم والبهاء هو القيم (أي الذي يبقى ويخلد) . ولا عجب فقد وصف الباب خليفته في المستقبل قائلاً : " أن الذي يجب ان يظهر في يوم من الأيام لهو أعظم من ذلك الذي سبق ظهوره " .

وقد فضل بهاء الله أن يتسمى باسم (مظهر) (وهو يوازي الأوتار أو التجسد كما قلنا) . ويقصد بذلك أن منظر الله الذي يجتلي في طلعته جمال الذات الإلهية ، والذي يعكس محاسنها كصفحة المرآة ، وهو نفسه جمال الله الذي يشرق وجهه ويتألق بين السماوات والأرض ، كما يتألق الحجر الكريم المصقول . وبهاء الله هو الصور المنبعثة الصادرة عن الجوهر الإلهي ، ومعرفة هذا الجوهر لا تأتي إلا عن طريقه .

وقد رأى فيه أتباعه أنه كائن فوق البشر وأضفوا عليه كثيراً من الصفات الإلهية .

ألف هذا الرجل كتباُ كثيرة في كل من اللغة العربية والفارسي . وقال في كتابه الشهير (الكتاب الأقدس) : أن لموحياته المدونة أصلاً إلهياً . وقال إن هذا اللوح هو كتابة خفية محفوظة منذ الأزل بين الكنوز الإليهة المكنونة التي رقمتها أنامل القدرة الإلهية " . (١)

وبهذا يكون بهاء الله هو الآخر قد طبق نظرية الأوتار على نفسه كما صنع سلفه وكثير من الشيعة من قبل . ومن المعروف أن هذه الدعوة التي ظهرت في عاصمة إيران قبيل القادياني بسنين قليلة جداً لا يمكن إلا أن يخرق دويها آذان القادياني . ولكن القادياني لم يتلق مبادئ هذه الدعوات بحذافيرها لتطبيقها على نفسه بل أجرى فيها تعديلات يسيرة وفق ظروفه . وهو أنه أخذ منها عقيدة الأوتار وزعم ان عيسى قد تجلى فيه بصفاته ومهامه الملقاة على عاتقة ، أو انعكست عليه تجليات الرسول محمد كما قلنا . وذلك لأن دعوى الألوهية الحقيقية كالبابية والبهائية كان فشلها محتوماً في مجتمع أهل السنة الذي ولد القادياني ونشر فيه دعوته . وهذا هو الخط الفاصل بينه وبين النعرات المعاصرة والشبيهة له في إيران .

ومن هنا نأتي إلى ختام هذا الكتاب ، والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .